نزار يوسف

تشوشو كاكي

قصار القصص

نزار يوسف

تشوشو كاكي

((قصص قصيرة جداً))

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

صفحة المؤلف (فيسبوك)
www.facebook.com/nizary3

صفحة المؤلف (تويتر)
https://twitter.com/NizarYusu

المحتوى

الميراث / ٤ /

السيف و الكلمة / ٧ /

نقود أم عقيدة / ١٢ /

أريد مالاً / ١٧ /

تشوشو كاكي / ٢١ /

ذهب فكره معه / ٢٦ /

دين بدينا / ٣٠ /

مذكرات رجال / ٣٥ /

مناظرة حول صنم / ٣٨ /

سلالة حمير / ٤٢ /

السكران / ٤٦ /

القراءة / ٥٠ /

نصيحة لطبيب نفساني / ٥٥ /

صاحب الدنيا / ٦٠ /

ملاط مبهم / ٦٤ /

رئيس الأشرار / ٦٩ /

حي من ميت .. ميت من حي / ٧٣ /

كبير العلماء و كبير الجحاش / ٨٣ /

بالصرف الصحي / ٨٨ /

جراب المبادئ / ٩٢ /

الميراث

استيقظ باكراً ذلك اليوم .. أحس بنشاط غير اعتيادي . غسل وجهه بالماء البارد و ارتدى ثيابه .. كانت معاملة حصر الإرث قد انتهت البارحة و لم يتبقَ إلا التصديق عليها اليوم من القاضي بحضور أخويه و المحامي في القصر العدلي ، لتصبح نافذة المفعول .

بعد الإفطار السريع ارتدى بزته الرسمية و حرص على تأنق هندامه أمام المرآة واضعاً بعض من عطورات الشرق و أطايب المشرق و توابل الهند .. اقترب من الباب الخارجي ، ثم استدار قليلاً و نظر إلى صورة والده و قد تدلت عليها من الزاوية اليسرى العلوية شريطة سوداء مخملية .. رحمك الله يا أبي .. و جعل الجنة مثواك .. و الرحمة مأواك .. قالها بنفسه و هو يمسك بسبحته الفاخرة و يحرك حباتها بخشوع .

نزل درجات السلم بتؤدة و وقار و هو شارد الذهن .. اليوم سيتقاسم التركة مع أخويه الاثنين ... أية سيارة سيشتري بعد أن يبيع حصته من العقارات .. أي منزل و أي مشروع تجاري سيفتتح .. ربما سأؤسس شركة استيراد و تصدير أو .. لحظة .. ربما أفتتح متجراً للحلي أو الثياب النسائية و تتوافد الفتيات الجميلات .. من المؤكد أنني سأعقد صداقات حميمة مع معظمهم و سأحرص على أن أغطي واجهة المتجر و بوابته بالقماش الخارجي كي لا يرَ أحد ما يحدث في الداخل .. ربما .. ربما .. إيييه الله يرحم الذي ورّث .

في القصر العدلي و بعد انتهاء التوقيع على معاملة حصر الإرث ، خرج مع أخويه من مكتب القاضي برفقة محامي العائلة إلى الباحة الخارجية التي امتلأت بالوافدين و الخارجين من و إلى القصر العدلي . من بعيد لمح أحد أصدقاء والده القدامى . صاح بأخوته قائلاً : انظروا أليس هذا صديق والدنا المغترب ؟ يبدو أنه عاد من الخارج .. هلموا بنا .. هلموا بنا يا أخوة الميراث لنسلم عليه .

اتجه الفرسان الثلاثة إلى الرجل الذي بدا أنه طاعناً في السن و يتوكأ على عكازه ماشياً الهوينى .

ـ مرحباً يا عم

ـ أهلاً بك يا ولدي !!؟؟ .

ـ ألم تعرفني .. أليس كذلك ؟؟!! .

رد الحكيم : اعذرني يا ولدي فللعمر و الشيخوخة أحكامهما ، فضلاً عن أني كنت خارج البلد لمدة طويلة و أتيت مؤخراً .... و لكن ... من أنت يا بني ؟؟ .

قال الشاب : أنا فلان ابن فلان .

قال الحكيم : أهلاً بابن الصديق و النديم ... ابن الحبيب و العزيز .. أخبرني .. ما فعل أبوك ؟ .

قال الشاب : مات .

الحكيم : مات .. ؟!!!! رحمة الله على والدك ، لقد كان صاحب عقل و علم و أدب و حلم . و ما تفعلون هنا يا أحبتي ؟؟ .

ـ نحن هنا لإنهاء معاملة الطلاق مع الوالد .. عفواً يا الله .. معاملة الميراث .. و قد أنهيناها للتو أيها العم المحترم .

ـ رحم الله والدكم ، لقد كان كاتباً و له كتب و مؤلفات كثيرة أغنت الفكر و تراقيمه و العقل و تلافيفه فما ورثتم عنه و أحزتم منه ؟؟ .

قال الكبير : لقد ورثت البيت الكبير في الضيعة مع الأرض الملحقة به .

هز العجوز برأسه و قال : رحم الله والدكم ، لقد كان كاتباً و له كتب و مؤلفات كثيرة أغنت الفكر و تراقيمه و العقل و تلافيفه .. فما ورثتم عنه و أخذتم منه ؟؟ .

قال الأوسط : لقد ورثت السيارة مع البيت في المدينة . و البيت في حي جميل و سعره الآن قد تضاعف مرات و مرات .

هز العجوز برأسه مرة أخرى و قال : رحم الله والدكم ، لقد كان كاتباً و له كتب و مؤلفات كثيرة أغنت الفكر و تراقيمه و العقل و تلافيفه فما ورثتم عنه و أخذتم منه ؟؟ .

قال الصغير : أما أنا فقد ورثت الأرض الزراعية التي اشتراها من زمان طويل و ثمن رخيص .. و الآن فقد مر الأوتستراد من جانبها و أصبحت قيمتها بالملايين .

ضرب العجوز بعكازه على الأرض و هز برأسه وقال : رحم الله والدكم ، لقد كان كاتباً و له كتب و مؤلفات كثيرة أغنت الفكر و تراقيمه و العقل و تلافيفه فما ورثتم عنه و أخذتم منه إلا الكبر .. سبحان الله يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي .. وداعاً .

- هل أنت بحاجة للمساعدة يا عم ؟

- كلا أيها الجهابذة ... بلغوا تحياتي للوالد .

- و لكن الوالد أعطاك عمره ...!!!!!!

- عفواً .. عفواً .. لقد نسيت .. قاتل الله الشيخوخة .. وداعاً .

السيف و الكلمة

في قبو القلعة الكبيرة و على ضوء السراج الملتهب ، نزع الفارس ذو العضلات المفتولة و الساعدين الضخمين ، خوذته المعدنية و درعه الحديدي .. استلقى على ظهره فوق فراش من القش الخشن القاسي متأوّهاً من التعب و التشنج العضلي ، ثم ما لبث أن استوى في جلسته .. شرد قليلاً إلى الأرض ثم ما لبث أن مد يمناه إلى تحت الفراش و سحب صندوق خشبي طويل بعض الشيء .. وضعه على ركبتيه و فتحه بتأنٍ و تؤدة شديدين .. التقط منه سيف مُذَهَّب مزخرف مرصع بالأحجار الكريمة التي أضحى بريقها تحت نور السراج ، يخطف الأبصار .

بالرغم من تعب المضني الذي أمضاه في التمارين القتالية اليومية ، فإن إعجابه بالحسام المهند المنحوت المطعَّم ، طغى على أي ألم في مفاصله و عضلاته .. أمسك بالمقبض و سحب السيف من غمده ببطء و هدوء ليظهر أمامه صارمٌ مصقول يلمع من حد شفرته و ثنايا تعرجاته المنقوشة .

أخذ يتأمله بمتعة و رويّة ثم ابتسم بهدوء الواثق و قال مخاطباً إياه بإعجاب .. أيها السيف المُذَهّب .. أيها الصارم المزخرف .. أيها البتّار المنمّق .. لطالما كنتَ مثار الإعجاب لمن تملك و من توارثك أباً عن جد .. إن لك تاريخ حافل من الصليل و الصرير في المعارك و ساحات الوغى .. و الان أيها السيف البتّار ، ها قد جاء دورك الآن للمهمات الخاصة .. لأول مرة سوف تنفذ مهمة خاصة جليلة

بعيداً عن الحروب و المبارزة .. إنها مهمة سلطانية علياً كلفني بها مولانا السلطان (اقترب أكثر من السيف و همس عند المقبض) .. إنها عملية اغتيال سريعة أيها الحسام المهند سوف ننفذها سوية ، و سوف يعلو شأني عند السلطان .. هي عملية اغتيال تليق بي و بك أيها السيف .. إنه حكيم المدينة المعروف و المشهور بحكمته و أقواله و آرائه الحصيفة الرزينة .. الحكيم الذي يحترمه كل أفراد المملكة بأسرها .. لكنه في الآونة الأخيرة بدأ يدلي بآراء و أقوال لم تعجب السلطان و لا تسايره في بعض أفعاله ، فطلب مني تولّي أمره .

فجأة لمع السيف بوميض قوي خاطف خطف معه بصر الفارس الذي أغمض عينيه ألماً و توريه مشيحاً بوجهه جانباً من وهج الضياء القوي ، و ما لبث أن أعاد بصره بهدوء و حذر شديدين ممزوجين بدهشة و استغراب .. نظر إلى الصارم المذهّب المزخرف المصقول الذي تحول ضياءه القوي الساطع إلى وميض خفيف متقطع متغير الألوان .. ألقى المحارب السيف من يده إلى الأرض أمامه و أخذ ينظر إليه بدهشة و ذهول .. فجأة أخرى ، انبعث من السيف صوتاً حاداً خفيفاً تناهى إلى مسامع الفارس أَجَلْدْ قائلاً .. هل قلتَ أيها الفارس إنك تريد أن تقتل هذا الحكيم بواسطتي ؟؟!! .

بالرغم من جرأته و شجاعته في ميادين النزال و ساحات الوغى ، انتفض الفارس هلعاً و اضطراباً .. لم يصدق نفسه بداية ، لكنه ما لبث أن تمالك رباطة جأشه و قال بشيء من الاضطراب .. هل أنت .... تتكلم ... أيها ... السيف ؟؟؟!!! .... لقد سمعت جدي يقول مرة أنك .... ربما ... سيف ... مسحور .

عاد الصوت الناعم للخروج من السيف ممزوج هذه المرة بصفير حاد .. لم تجبني على سؤالي أيها الفارس ... هل أنت تريد قتل ذلك الحكيم بواسطتي أنا ؟؟!! .

خرج الفارس من رهبة أكالث و أجاب قائلاً .. نعم أيها السيف .. إنني أريد فعل ذلك و بواسطتك أنت يا سيفي العزيز !!!! .

- أيها الفارس .. أخشى أنه يتوجب عليك فعل ذلك بأداة أخرى غيري .

- لماذا أيها السيف ؟؟!!! .. سوف تكون مكافأتي عالية جداً من مولانا السلطان الذي ربما يمنحني موقعاً علياً .. أعدك أنني سأهتم بك أيما الاهتمام .. إنه مولانا السلطان .. السلطان أيها السيف .

- هو مولاك لا مولاي أنا .. هذه مهمة لن أفعلها أبداً .. فابحث لك عن قطعة سلاح أخرى تنفذ بها مهمتك تلك .. جِد لك سيف آخر أيها الفارس .

- و لكن لماذا ؟؟!! لماذا أيها السيف ؟؟!! إن طلبك هذا لهو أغرب لي من كونك تصدر الضياء و تنطق بالكلام كما نحن معشر البشر ؟؟؟!!!! .

- أيها الفارس .. إنني سيفٌ خُلِقتُ و صُنِعتُ لمقارعة سيف آخر مثلي .. سيف ظالم مفترٍ يحمل العدوان و البطش و الجبروت دونما وجه حق ، و لم أُخْلَقْ لقتل الكلمة .. أتعْلَم من صنعني ؟؟ و لما صنعني ؟؟ و متى صنعني ؟؟ ..

لقد صُنِعْتُ منذ زمن بعيد .. زمن بعيد حيث لم يوجد سيف من قبل .. و حيث كان أحد الرعاة المساكين يرعى غنم له بعصا معه .. و ذات يوم جاء ذئب كبير و هاجم الراعي و افترس غنمة من أغنامه حيث لم تنفع العصا شيئاً .. و في يوم آخر هاجم مجموعة من اللصوص مسلحين بعصي و حجارة ، الراعي و سرقوا بضع من غنمه و لم يجد الرجل ما يدفع به عن نفسه .. في يوم آخر عاد اللصوص مرة أخرى و أخذوا بعض الأغنام ، لكنهم هذه المرة اغتصبوا زوجة الراعي أيضاً أمام ناظريه و لم تنفعه العصا .. اشتكى إلى رئيس القبيلة و إلى جيرانه ، فلم يقم لمظلمته أحد .. جلس الراعي في البرية يبكي حظه و يبكي العدل و الفضيلة و

الأخلاق .. و فجأة تجلّى له شخص من الأشخاص الذين عليه و مسح له دموعه ثم انتزع العصا الخشبية منه و مسح عليها بيديه لتتحول إلى هذا السيف الناطق الذي تراه أمامك الآن ، ثم طلب منه الدفاع عنه نفسه بواسطته و علمه كيفية استخدامه .. و بعد وفاة الراعي باعني ابنه إلى أحد الفرسان الذي حرص على أن يتوارثه أبناءه من بعده .. و من يومها و أنا أتنقل من يدي إلى يد حتى وصلت إلى يديك هاتين اللتين تريد أن تقتل بهما كلمة حق في وجه ظلم و جور و حيف ..

- و لكن أيها السيف أنا ....

- لا و الذي خلقني و صنعني و برأني صارماً بتّاراً مصقولاً مذهّباً منمنما ، لن أقتل كلمة ما حييت .. لقد خُلقتُ لساحات الوغى و قرع سيف مثلي .. دفعاً لظلم و درأ لجور و إقامة لعدل .. عار عليّ أن أقتل كلمة خرجت من فم إنسان .. اذهب أنت و سلطانك فاقتلا إنني هاهنا من القاعدين .

- و ما أقول للسلطان ؟؟ لقد كلفني أن أقوم بمهمتي الليلة ، فإن لم أفعل قتلني .. لا بد لي من القيام بذلك أيها السيف .. شئتَ أم أبيت .

- إن أجبرتني على ما أريد .. تحولت إلى قطعة ملتهبة تحرق يديك و تشوي جسدك كله .. أو أعود عصا كما كنتُ سابق عهدي و إنني على ذلك لقوي مكين .

- إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك أيها السيف .

- بلى أيها الفارس أستطيع فعل ذلك .. و إن لم تصدق فانظر الآن ما أنا فاعل .

قال السيف ذلك ثم لمع بوميض قوي يخطف الأبصار لدرجة جعلت الفارس يغمض عينيه و يغطي وجهه .. و ما أن انجلى الضياء حتى رفع وجهه و فتح عينيه بهدوء و حذر ، فإذا السيف قد اختفى و حلت مكانه عصاً خشبية .

أخذ الفارس يلطم وجهه و يندب حظه و يصيح .. يا ويلنا يا ويلنا .. ما أنا بفاعل الآن ؟؟؟!!! .

في صباح اليوم التالي دخل الحاجب على السلطان .. مولاي السلطان .. معذرة منك و عفو .. لكن الفارس الذي سألتني عنه لم نعثر له على أثر .. يبدو أنه قد فر البارحة ليلاً .. لقد شاهده حراس البوابة الخارجية يخرج من المدينة على حصان يسابق به الريح .. و لم نجد في غرفته سوى هذه العصا .. فما يأمر مولاي السلطان ؟؟ .

انتزع السلطان من فمه قطعة لحم كبيرة و قال .. ابعثوا من يتعقب هذا الخائن و القوا بهذه العصا بالنار ، فلدينا من العصي ما يكفي .

- كما يأمر مولانا السلطان .

نقود أم عقيدة

كان وقع الخبر عليه كوقع الصاعقة .. لم يستطع احتمال تلك العبارة المقتضبة التي نطق بها أمين الصندوق بوجه جامد لا ملامح فيه .. (آسف سيدي .. إن نقودك تلك مزيفة) .. أحس بإعياء شديد و فقدان بالوعي فترنح متمايلاً آيلاً للسقوط لولا أن تداركه بعض الزبائن الذين كانوا خلفه يقفون بالطابور أمام صندوق المصرف التجاري لإيداع أموالهم .

أجلسوه على أريكة كبيرة و رشوا على وجهه الماء البارد .. عاد الرجل إلى رشده و صحا من شبه الغيبوبة التي كادت أن تطيح به إلى الأرض مرتطماً محطماً .. فتح عينيه الزائغتين و نظر إلى ما حوله .. كان مشهداً متماوجاً متحركاً ضبابياً بعض الشيء ما لبث أن استقر و اتضح أمامه .. كان بعض الجمهور و موظفي المصرف قد تحلقوا حوله يطمئنون على سلامته .. اقتربت منه موظفة شابة حسناء و قالت له .. سيدي .. حمداً لله على سلامتك .. من بعد إذنك هنالك بعض موظفي الأمن يريدون سؤالك عن مصدر النقود ، إذا لم يكن لديك مانع و كانت حالتك تسمح بذلك ؟؟ .

ارتعد الرجل من الخوف لكن الموظفة هدأت من روعه قائلة بابتسامة .. اطمئن سيدي .. من الواضح أنه لا علاقة لك بالأمر و أنك تعرضت لعملية احتيال .. إنها أسئلة اعتيادية تقود الجهات المختصة إلى الفاعل الرئيس .

في غرفة التحقيق ، أدلى الرجل بشهادته و كل ما يعلمه عن هذه النقود أمام موظفي الأمن ثم وقع على بعض الأوراق الرسمية و محضر التحقيق و ما لبث أن أُخلي سبيله .. خرج من المصرف صفر اليدين يبكي بقهر و ألم و لوعة .. لقد خسر كل نقوده التي كانت محصلة تاريخ لشقائه و كدّه و تعبه خلال سنين طوال .. أحسَ أن روحه تكاد تزهق و تخرج من بين ضلوعه .. أراد الصراخ في الشارع لكنه خشي الفضيحة ، فقرر الاستسلام لواقعه المرير و كابوسه الرهيب الذي هبط عليه من حيث لا يعلم ، و الذهاب للبيت علّه يجد متنفسه هنالك و يصرخ ما بدا له الصراخ .. أشار بيده لتاكسي قريب ، و ما أن اقترب منه حتى فتح الباب و ارتمى منهالكاً بجانب مقعد السائق .

دخل المنزل باكياً مرهقاً معذباً و هو يهذي بكلمات متقاطعة متقطّعة .. ذهب المال .. ضاع تعبي .. ضاع عمري و شقاء كدي . و عندما علمت زوجته بالنبأ المفجع انهارت بدورها و هي تبكي و تصيح و تدعو ربها ألا يضيع مال زوجها هدراً و يصير هباء منثوراً و أن يتمكن البوليس من القبض على الفاعل الحقيقي و التعويض على زوجها المنكوب .

لم يكن الرجل قادراً على الكلام .. تارة يصرخ و تارة أخرى يبكي و أخرى يناجي ربه و يسأله التعويض .. استلقى في فراشه هامداً خامداً شارداً محاولاً النوم .. قدمت له زوجته كأس ساخن من منقوع الأعشاب المهدئة علّه يهدّئ من روعه .. تناول منه بعض الرشفات لكن نفسه المتعبة المرهقة أبت عليه الاستمرار .. تناول حبة مهدئ مع الشراب و عاود الاستلقاء في الفراش شارداً في سقف الغرفة ، لم يلبث بعدها أن ذهب في إغفاءة نتيجة الإجهاد و التوتر النفسي و الضغط العصبي .

عند اقتراب المساء أيقظته زوجته بهدوء .. فتح عينيه بتثاقل و هو يجول بهما في فضاء الغرفة و محيطها كأنه كان في عالم آخر و عاد منه .. أو كأنه عاد إلى

عالم جديد .. ما أن بدأ يستعيد وعيه و يصحو على المصيبة التي ألمت به اليوم حتى أكب على الوسادة محاولاً الرجوع إلى نوم و الهروب مما صحا عليه .

أمسكت به زوجته برفق و قالت له .. لا عليك .. هوّن عليك .. تحلّى الصبر و الأمل .. قبل قليل اتصل صديقك يسأل عنك و قد أخبرني أن والده المعمّر يحتضر و هو على فراش الموت .. هااااه .. انظر كم هي هذا الدنيا فانية و زائلة .. لا شيء يبقى على حاله ، فلا تبتئس يا عزيزي .

شرد قليلاً يفكر ، ثم خطر له أن يقوم بزيارة وداعية لوالد صديقه علّ ذلك يخفف عنه مأساته .. كان عفوياً يبحث عن أي شيء يخفف عنه مصابه أجلل هذا و ينسيه إياه و لو لفترة محدودة .. ارتدى ثيابه بصمت و خرج .

كان الرجل العجوز طريح الفراش .. أصابه الشلل من معظم أطرافه .. بالكاد ينطق .. نظر إليه و قال له .. سلامتك يا عم ، أرجو أن تخرج من وعكتك هذه بخير و سلامة .

ابتسم العجوز و قال .. يا ولدي لقد بلغتُ من العمر عتياً و قاربتُ من السنون المائة .. فلا أرجوَنَّ بعد هذا عيشاً كريماً لائقاً .. سوياً سليما .. و لكن .. ما لي أراك هكذا يا ولدي مهموماً حزيناً .. وجهك شاكياً باكيا ؟؟!! .

ضرب الرجل كفاً بكفّ و قال .. لقد حلت علي كارثة كبيرة يا عماه .. و أصابتني قارعة مؤلمة موجعة أخشى أنها قد تودي بي .

- خير إنشاء الله ؟؟ إيش هي المشكلة ؟؟!!! .

- لقد قضيت سنين طوال أعمل محاسب عند أحد التجار الكبار . و كان الرجل يعطيني أجراً لا بأس به ، فكنت أنا آخذ منه فقط ما يكفيني و عائلتي و الباقي

أودعه لدى التاجر نفسه ليستثمره لي .. و بقيت على هذا المنوال سنين أمنّي نفسي أن أتقاعد و معي مبلغ كبير من المال يعينني في آخرتي و أبدأ به مشروعاً تجارياً يقيلني في عثرتي .. إلى أن جاءت ساعة النحس و الغفلة السوداء قبل يومين حين أخبرني هذا التاجر إنه قرر تصفية أعماله و السفر خارج البلاد و أنه قرر إعادة ما ادخرته عنده بالإضافة إلى تعويض العمل .. و كان مبلغاً محترماً جداً لم أتوقعه و لم تسعني الفرحة لأجله .. أعطاني المبلغ قبل ساعة من ذهابه للمطار و مغادرة البلاد .. في اليوم التالي الذي هو يومنا هذا ، ذهبت إلى المصرف لأودع مبلغ المال هذا و إذ بهم يخبروني أن نقودي كلها نقود مزيفة لا يمكن قبولها .. تمت مصادرة النقود و كانوا على وشك اعتقالي .. لكن التحقيق أثبت أن لا علاقة لي بعد أن أخبرتهم الحقيقة و مصدر النقود المزيفة .. و هم الآن في طور البحث عن هذا المحتال الذي من المؤكد أنه قد غادر البلاد .. و هأنذا بين يديك .. كل شقاء عمري و تعبي كان نتيجته نقود مزيفة .. كل ذلك تحول في لحظة واحدة إلى وهم .. وهم كبير فهل رأيت أشقى مني رجلاً ؟؟ .

ابتسم العجوز المحتضر ابتسامة عميقة و هز برأسه متأوهاً من الألم ثم نظر إلى الرجل و قال .. نعم يا ولدي .. هنالك من هو أشقى منك .. و مَنْ شقاؤك لا يعدل عشر معشار شقاؤه .

صعق الرجل مما سمع و فغر فاهه بدهشة و ذهول كبيرين ، حتى أنه لوهلة نسي مصيبته التي تعرض لها في يومه هذا .. نفض رأسه و سأل العجوز المحتضر أمامه .. هل معقول أنه يوجد أشقى مني يا عم ؟؟ هل معقول وجود أشقى من شخص كان محصلة عمله و تعبه خلال سنين طوال نقود مزيفة ؟؟!! .. مستحيل .

هز العجوز المعمر رأسه بوهن و قال مبتسماً بصوت ضعيف هادئ .. نعم يا ولدي يوجد من هو أشقى منك ، بل هو أشقى الأشقياء .. و يتمنى لو يكون مكانك الآن .. أنت ذلك العجوز الراقد أمامك الآن على فراش الموت .

- أنت ؟؟؟!!!!! ..... أنت ؟؟؟!!!!! (صاح الرجل منتفضاً بدهشة) .. كيف ؟؟!!! .. و لماذا ؟؟؟!!!! و ماااا ؟؟؟!!! .

نظر العجوز إلى السقف بعينين ملأهما الحزن و قال .. أنت يا ولدي اكتشفتَ أن عملك و تعبك بعد سنين طوال مع هذا التاجر قد ذهب هباء منثوراً بنقود مزيفة .. أما أنا فإنني قد اكتشفت الآن و أنا على فراش الموت أن كل عقائدي و أفكاري التي آمنت بها و التي لُقِنتُها و ألقمت بها منذ الصغر أنها مزيفة .. و أن هنالك عقيدة واحدة صحيحة حقّة اكتشفتها الآن .. و لكن هنالك تاجر آخر بل قل تجار مثل تاجرك هذا ما أعطونيها بل غيرها (قال العجوز هذا و بدا يبكي بحرقة مثل غلام شَلْفٌ لم يبلغ الطوق) فما هو أصعب و أشد يا ولدي ؟؟ أن تخسر نقود خلال فترة عمل ، يمكن تعويضها أم تخسر عقيدة و إيمانٌ حقٌ خلال عمرك كله و أنت الآن في أرذل العمر لا يمكن ان تعوض منها شيئاً .. و أنىّ لك التعويض ؟؟؟ إنني مستعد الآن ان أعوض عليك نقودك التي خسرتها بل و أضعاف عدة منها ، فقط لو أعرف أن الله يقبل توبتي و لا يحاسبني على خطأي و جهلي و قلة عقلي و مداركي و غفلتي طوال مديد عمري و سنين حياتي .

أحس الرجل براحة غريبة تسري في جسده و شعر بشيء من السكينة .. أنهى فنجان قهوته و دعا للعجوز المحتضر بالسلامة و حسن العاقبة ، ثم استأذن بالانصراف .

أريد مالاً ..

كان يومه الذي يعيشه ، روتين ممل متكرر يسير وفق نمط واحد لا يتغير منذ أن أنهى خدمة العلم و تزوج و توظف في دائرة رسمية خلف طاولة خشبية أكل عليها الزمن و شرب .. أضابير و مستندات و مصنفات أعمَلَ فيها العث و الحشرات ما بدا لها أن تعمل .. هذا ما كان يسمى في العرف الوظيفي الرسمي بالأرشيف أو المستودع الإداري .. هي غرفة توضع في أقصى الدائرة الحكومية .. نادراً ما يدخلها أحد أو يقترب منها .. هو مكان خارج الزمن و الحياة .. هدوء مطلق إلا من عبق السجائر و رائحة القهوة .

لم يكن يكسر روتينه الممل هذا سوى روتين آخر لازمه منذ بداية روتينه الأول تقريباً أو بعده بقليل .. هو روتين فكري نفسي اعتمل في داخله .. ربما بسبب طبيعة غرفة الأرشيف التي قذفوا به إليها .. الوحدة و الهدوء و الفراغ و الدخان و القهوة .. روتينه المستجد هذا تمثل بالتفكير بالمال .. المال و لا شيء سواه .

من أين لي بالمال ؟؟ أين المال ؟؟ كيف سأحصل على المال ؟؟ إنني بأمس الحاجة إلى المال .. من دون المال لا أستطيع فعل شيء .. أي شيء مهما كان .. من دون المال انا إنسان عاجز مشلول .. أشبه بكلب أجرب متشرد في الشوارع .. لم

أدع وسيلة أجلب بها المال إلا و فعلت و لكن يا حسرتي .. لم يكلل وجهي باللقاء مع المال و لو مرة واحدة .

مع الأيام .. طرأ عليه روتين ثالث جديد تمثل بخروجه عصر كل يوم للمشي في شوارع المدينة للخروج من حالة الضجر و الملل القاتلين في وظيفته الرسمية و في البيت .. يخرج إلى الشارع و ينظر بعينيه المتقدتين إلى السيارات الفارهة الفخمة ذات الأسعار الباهظة ، فتعتمل اللوعة و الغيظ في صدره .. يمر من أمام المطاعم الخارجية الفخمة التي تقدم لزبائنها أفضل أنواع المشويات و المقمرات و المحمرات على جانب الرصيف ، فيسيل لعابه و يتضور ألماً و جوعاً .. لا يستطيع أن يأكل بمرتبه إلا وجبات ثلاث فقط من هذا الطعام الفاخر .. يمر خلال الأحياء الخاصة بعلية القوم و يشاهد تلكم البيوت و العمارات الفخمة المشيدة على أحدث و أجمل طراز معماري ، فيتحرّق من اللهفة ليسكن في عمارة من تلك العمارات ، لكن الألم يعتصره عندما يعلم أن ذلك من شبه المحال إن لم يكون من المحال نفسه . و السبب هو .. المال .. المال .. اللعنة .. لو أنني أعثر على كنز مدفون في مكان ما .. هذه أفضل طريقة للحصول على المال .. و لكن كيف سأعثر عليه و أنّى لي ذلك ؟؟!! .

في مشواره اليومي هذا .. كان تنتابه دائماً الحاجة إلى التبول أثناء تفكيره بالمال .. فيتجه إلى بقعة شبه خالية تقع بين الحي الراقي و بقية الأحياء الأخرى و يقف خلف إحدى الصخور مختبئاً ثم يتبول و يفكر بالمال و كيفية الحصول عليه و هو يشعر براحة و ألم نفسيين في آن معاً .. راحة لتخلصه من إزعاج حصر البول و انتفاخ المثانة .. و ألم في كيفية البحث عن المال و الحصول عليه .

يومياً كان يتعرض لنوبات روتينه الثلاث تلك .. نوبة الملل في الوظيفة و التدخين .. و نوبة التفكير بالمال مع التدخين .. و نوبة النزهة عند المغرب و التبول في نفس المكان خلف الصخرة مع التفكير بالمال و قلق الحصول عليه . حتى

أضحت هذه عادة منتظمة كأنها متوالية هندسية بالنسبة له .. لا يجد منها فكاكاً و لا عنها بديلاً .. يومياً و بمجرد وصوله إلى تلك البقعة شبه الخالية و الفاصلة بين الأغنياء و الفقراء .. تنتابه رغبة التبول فيذهب إلى الصخرة نفسها يختفي خلفها و يتبول بلذة و عمق و هو يفكر بالمال و يتخيل المال و كيفية صرفه له و شراؤه به .

في صباح يوم من الأيام .. نفذت القهوة عنده في المكتب .. فكر في أن لا يشرب اليوم قهوة و لكن أنّى له ذلك و وحش الروتين و العادة يمسك بتلابيبه و يحيط به من كل جانب .. من بين يديه و من خلفه و من بين أرجله .. حاول التغاضي عن الموضوع و نسيان الفكرة لأجل غير مسمى لكنه لم يفلح . فقرر أن يخرج و يستعير قليلاً من القهوة من أحد الموظفين .

دلف من الباب إلى داخل غرفة الديوان و ألقى السلام على الموظفين ثم طلب قليلاً من القهوة يكفي لفنجان أو اثنين .. أسرع موظف الديوان إلى فتح علبة القهوة و بحث عن وعاء صغير يضع فيه المقدار المطلوب فلم يجد إلا جريدة الصباح بتاريخ اليوم نفسه .. وضع بها مقدار القهوة ثم صرّها و أعطاها لزميله قائلاً له .. خذها لقد قرأتها الآن و لم يعد لي حاجة بها .

شكر الرجل صديقه ثم خرج من غرفة الديوان متجهاً إلى غرفة الأرشيف المعزولة .. وضع القهوة على النار و أشعل سيجارة ثم أخذ يتصفح جريدة الصباح بمتعة .. فجأة .. وقع نظره على خبر استرعى انتباهه جيداً و استنفر له كل حواسه و بدأ يقرأ باهتمام .. كان الخبر يتحدث عن مبلغ ضخم من المال عثر عليه أحد الأشخاص في المنطقة الفلانية من المدينة بين حي كذا و حي كذا ، عندما كان يتبول .. و كان المبلغ الضخم مدفون بجانب صخرة ضمن كيس قماشي لفت نظر الرجل الذي كان يتبول فسحبه من التراب ليجد المبلغ فيه .. و قد

كان بإمكانه أن يأخذه و يتصرف فيه دون أن يعرف أحد ، لكنه آثر تسليمه إلى السلطات المختصة ، و قد تلقى مكافأة مالية مجزية على ذلك .

أخذ الرجل يمج سيجارته بهدوء و صمت و ينفث دخانها بعصبية و هو شارد يفكر .. اللعنة .. إنه هو المكان نفسه الذي أتبول فيه كل يوم نهاراً جهاراً !!!! اللعنة .. أنا أبحث عن المال في مخيلتي .. في أحلامي .. في منامي .. في هوسي و هلوساتي .. و أبكي الماً و جوعاً و قهراً من الداخل ألف مرة و مرة في اليوم .. لأفاجئ أنني أتبول عليه كل يوم في الواقع و الحقيقة لا الخيال ؟؟؟؟!!!!! اللعنة عليك أيها المال .. اللعنة علي أنا .. اللعنة عليكم جميعاً .. اللعنة على البشر و الناس و الكون .. (يضحك بسخرية) هههه ... هههههه ... هاااه هاااااااه .. (ثم يبدأ الصراخ بهستيرية) آآآآآآآآ ... لاااااااااا ... عاااااااا ... خخخخخااااا .

هرع الموظفون إلى الغرفة .. كان الرجل يصيح بهستيرية ممزوجة بالضحك تارة و البكاء تارة أخرى .. تارة تصدر منه ابتسامة بلهاء .. و تارة أخرى تنزل دموع و عبرات ساخنة ممزوجة بالألم و القهر .

بعد أن هدأوا من روعه و أسقوه الماء .. سألوه عن سبب صراخه و تصرفه الغريب هذا .. فلم يجب على السؤال و اعتذر منهم .. منحه المدير إجازة صحية لمدة يومين .

مر يومان و ثلاثة و لم يأت الرجل للعمل ، فتساءل أصدقاؤه عنه .. و في اليوم الرابع ظهر في جريدة الصباح خبر مفاده .. القبض على رجل حاول التغوط أمام المارة في المنطقة الواقعة بين حي كذا و حي كذا .. و يُعتقَد أنه شخص مضطرب عقلياً و قد تم تسليمه إلى مشفى الأمراض النفسية لتشخيص حالته .. يُذكَر أن ذلك المكان قد تم اكتشاف مبلغ ضخم من المال فيه قبل بضعة أيام .

تشوشو كاكي

كانت محاضرة طويلة بعض الشيء .. لكنها قيّمة و مفيدة جداً للطلاب في كلية التاريخ الذين كانوا يستمعون إليه بانتباه و تركيز شديدين ، فهو البروفيسور المشهور الذي جال العالم طولاً و عرضاً و حاضرَ في أشهر الجامعات .

كانت المحاضرة حول الشعوب و القبائل و الأعراق البشرية و تطورها في الماضي و الحاضر و بالذات الشعوب و القبائل الإفريقية .. و بلغ من أهمية المحاضرة أهمية المحاضر ، إذ كان من الحضور أساتذة جامعات و باحثين و كتّاب .. و ما أن انتهت المحاضرة ، حتى علا التصفيق بين جمهور الحضور .. إعجاباً بالمحاضرة و المحاضر و الفائدة الثقافية و العلمية التي نجمت عن ذلك .

أعطى المشرف على المحاضرة ، إشارة البدء بالأسئلة لعموم الحضور الذي بدأ بعض أفراده بالأسئلة .. كان البروفيسور يجيب على الأسئلة جميعها و يناقش بعضها بطريقة علمية و يقدم المعلومات المفيدة و الأدلة و البراهين الدامغة .

فجأة رفع طالب في الصفوف الخلفية ، يده للسؤال .. و عندما أشار له المحاضر بالإيجاب قال .. سيدي ، لقد قرأت في الصحف منذ فترة عن قبيلة في إفريقية تسمى (تشوشو كاكي) (Choochoo Kaki) و هذه القبيلة كما قيل تقوم ببناء معبد لها و بعد فترة تقوم بهدمه ، ثم بعد ذلك تقوم ببنائه من جديد ثم تقوم بعدها بهدمه و تعاود الكَرّة ، و هي عادة معروفة لديها منذ تاريخ

نشوئها ، فما هو السبب في ذلك ؟؟ و ما هي معلوماتكم عن هذه القبيلة إذا تكرمتم ؟؟ .

كان سؤالاً محرجاً للبروفيسور ، فهو لم يسمع يوماً عن قبيلة بهذا الاسم طوال حياته و فترة دراسته ، و ها هو اليوم أحدهم يسأله عنها أمام جمهور غفير من الناس !!! .. لكن و بالرغم من ذلك فإن شخصيته و مرتبته العلمية الرفيعة لم يمنعاه من أن يقول بكل تواضع و ثقة أمام الحضور .. في الواقع يا بني .. هذه أول مرة أسمع بهذه القبيلة .. أنت تعلم و الحضور كذلك .. الإنسان معها تعلم و تحصّلَ على المعرفة ، يبقى هنالك أشياء يجهلها .. و على كل حال ، أعدك أن استقصي عن هذه القبيلة و استعلم عنها و أخبرك بالنبأ اليقين حولها .. أرجو أن تترك لي عنوانك و رقم هاتفك لدى إدارة الجامعة كي أتمكن من التواصل معك فيما بعد .

ما أن انتهت المحاضرة و غادر الجميع ، حتى اتجه البروفيسور إلى المكتبة العمومية في الجامعة حيث يوجد شبكة للأنترنت و هناك فتح حاسبه المحمول و بدأ البحث عن قبيلة (تشوشو كاكي) المزعومة تلك و كان ينتابه شعور خفي بأنها غير موجودة أو أن الطالب السائل قد أخطأ الاسم أو اللفظ .. من المستحيل أن تكون مثل هكذا قبيلة موجودة و لا يعلم بها .. و بالذات و أن تخصصه الأساسي هو الشعوب الإفريقية .. أظهر له محرك البحث معلومة بسيطة جداً عن قبيلة (تشوشوكاكي) .. أعاد البحث في النت مرة أخرى ، فوجد موقع يتحدث عن غرائب الشعوب و وجد معلومة بسيطة أخرى عن هذه القبيلة و عن الدولة الإفريقية التي هي فيها .. جاء في الموقع ما مفاده .. تشوتشو كاكي .. قبيلة إفريقية تقع في مجاهل غابات إفريقية و تتسم بظاهرة غريبة هي بناء معابد خاصة بها من الطين و هدمها بعد فترة ثم إعادة بنائها .

عاد الرجل إلى المنزل و أخذ يبحث في الكتب و المراجع المتوافرة لديه ، عن قبيلة (تشوشو كاكي) فوجد في أحد المراجع شذرات بسيطة عنها .. ضرب بيده على رأسه و قال .. فعلاً يبقى الإنسان ناقص علم و معرفة مهما تعلم و قرأ .. لكن ما قصة هذه المعابد التي يبنونها و يهدمونها ؟؟؟!!! و هل هذه حقيقة مؤكدة فعلاً ؟؟!! . اتصل بعدد من زملاءه في الدراسة و البحث العلمي ، فلم يجد نتيجة شافية وافية مؤكدة .. واحد منهم أخبره أن ذلك صحيح لكنه لا يعرف السبب الذي ربما يكون سبباً عقائدياً دينياً أو ربما عرفاً اجتماعياً متوارثاً من الأجيال السابقة لديهم ، لكن لا أحد يدري بالضبط .. قصد الرجل سفارة الدولة الإفريقية التي تتواجد بها هذه القبيلة و استعلم عنها ، لكنه حصل على النتيجة ذاتها .. السبب غير معروف .

يوماً بعد يوم .. شكلت قضية معابد قبيلة (تشوشو كاكي) أرَقاً فكرياً و نفسياً للبروفيسور الذي لم يكن معتاداً على تجاهل الحقائق العلمية و المعلومة التاريخية مهما صغر حجمها و مهما تضاءلت أهميتها .. فرجل مثله لا بد أن يكون ملماً بكل شيء .. يكفي أن هذا السؤال قد شكل لي حرجاً أمام الجمهور في المحاضرة (قال في نفسه) .

أخيراً و بعد مخاض نفسي عنيف .. قرر الرجل السفر بنفسه إلى إفريقية و تحديداً إلى قبيلة (تشوشو كاكي) و معرفة السبب الحقيقي من مصدره الأساس .. قدم طلباً للفيزا من سفارة تلك الدولة الإفريقية ، فحصل عليها فوراً مع تسهيلات و توصية كونه شخص ذا درجة علمية مرموقة .

عندما وصل مطار الدولة الإفريقية ، كان بانتظاره سيارة خاصة لتقلّه إلى الفندق الذي كان ينتظره فيه دليل سياحي إفريقي خاص لمرافقته و مساعدته في رحلته تلك . و في غرفته بالفندق .. لم يضيع الرجل وقتاً فقد جهّز أدواته و

نفست للسفر صباح يوم الغد إلى موقع قبيلة (تشوشو كاكي) مع الدليل السياحي .

كان الجو حاراً جداً عندما وصلت سيارة الدفع الرباعي إلى أحد الأدغال حيث تناثرت أكواخ عدة من القصب و الأوراق اليابسة في المكان .. ترجل البروفيسور من السيارة و ألقى نظرة فاحصة على المكان .. أحس أنه خارج التاريخ و أنه قد عاد ربما إلى ألفي عام إلى الوراء .. لم يكن هنالك أي أثر يدل على حضارة مدنية أو بشرية حديثة سوى بعض أكوام الحجارة و الطين التي كان واضحاً بلا شك أنها هي نفسها المعابد المذكورة .. تجمهر عدد من الفتية الصغار حول السيارة و الزوار القادمين بدهشة و فضول .. و ما لبث الجميع أن ذهبوا إلى خيمة رئيس القبيلة .

في الخيمة ، قدم البروفيسور الهدايا لرئيس القبيلة الذي كان رجلاً طاعناً في السن و بالكاد يبصر .. و بعد المجاملات و التحية ، دخل في الموضوع الذي جاء لأجله مباشرة و سأل زعيم القبيلة عن سر المعابد و سر هدمها و إعادة بنائها من جديد .

ما أن انتهى المترجم من نقل كلام الرجل إلى زعيم القبيلة ، حتى هز الأخير برأسه مبتسماً و قال بهدوء .. قصة المعابد يا سيدي هي أنه يوجد لدينا عرف أو قانون قديم في قبيلتنا هذه و لا أعرف إن كان موجوداً في مكان آخر أو قبيلة أخرى .. و القانون يقول إنه كلما صلح ألف رجل من قبيلتنا بنينا لهم معبداً صغيراً من الطين خاص بهم .. و إذا فسدوا .. هدمنا المعبد لأنه بنظرنا عجز عن إصلاح الناس بل و ساهم في إفسادهم و كذبهم و نفاقهم و لأنه لم يؤد دوره بالشكل المطلوب و المفترض منه .. فالمعبد بنظرنا هو للأشخاص الصالحين و لجعلهم صالحين .. فإذا تحولوا فاسدين بعد صلاحهم علمنا أن المعبد قد فسد أيضاً بدوره .. فنقوم بهدمه فوراً كي لا يتحول إلى سرطان يصعب اجتثاثه و

هدمه فيما بعد .. المعبد بنظرنا أيها السيد هو رمز لوجود صلاح في القبيلة و أداة لتثبيت هذا الصلاح و ليس لخلقه .. المعبد أيها السيد لا يخلق صلاح بل هو مكان لاجتماع الصالحين .. فالصلاح يأتي من الشخص نفسه و ما رباه والديه عليه لا من المعبد .. و إذا انتشر الفساد في القبيلة أضحى من الخطر وجود المعبد لأنه سيصبح في نظر أفراد قبيلتنا .. رمزاً للفساد و هذا ما لا نريده حتماً .

شكر البروفيسور زعيم القبيلة على ما تفوه به و ودعه ثم اتجه إلى السيارة برفقة من معه .. و عندما أراد الصعود استدار و نظر إلى افراد القبيلة البدائيين المتجمهرين حوله يحملقون به بدهشة و استغراب .. رفع قبعته ثم انحنى لهم انحناءة طويلة و غادر إلى المطار حيث كانت الطائرة بانتظاره للعودة .

ذهبَ فكره سدى

تصاعد دخان النراجيل و السجائر في المقهى المكتظ بروّاده من كل حدب و صوب و كل عمر و دهر و من كل صنف و ضرب .. كذا الأمر تصاعدت أصوات قرقعة حجارة النرد و ضربات قطعها البيضاء و السوداء على الطاولات .. التي بدورها اختلطت مع أصوات أوراق اللعب .. ذلك كله اختلط مع أصوات الزبائن المتعالية و المختلفة بشتى أنواع اللهجات و النبرات و الموجات .. منها الضاحك و منها الحزين و منها الغاضب و منها الساخط و منها الشاتم و منها من يصيح طلباً لشاي أو قهوة أو نارجيلة أو قدح ماء أو قطعة ثم لتوضع على تنبك النارجيلة .. ذلك كله أيضاً اختلط بشتى أنواع التعابير و القصص و الروايات المختلفة و المتنافرة .. منها ما هو اقتصادي و منها ما هو سياسي يتحدث عن أحوال البلد و السياسة الداخلية و الخارجية .. و منها ما هو اجتماعي حول زواج فلان و طلاق فلانة و تقاعد فلان و موت فلان و ولادة فلان .

في إحدى زوايا المقهى المنزوية .. كان هنالك طاولة جلس عليها رجل كهل في الستينيات من عمره .. أشيب الشعر مجعد الوجه .. يدخن الغليون و أمامه كأس شاي كبير .. كان يحضر بشكل شبه يومي مغرب كل يوم و يقضي مساءه

على هذه الطاولة التي اعتادها و اعتاد مكانها في زاوية المقهى متآلفاً مع المكان و الموقع بمتعة قوية .

إلى جانبه كان هنالك طاولة خشبية أخرى اعتادها يومياً أشخاص ثلاثة في التوقيت نفسه .. يقضون الوقت بورق الكونشينة و الزرزة اللامنتهية و اللامعيّنة على الطاولة نفسها .. المقهى إياه ، يمتاز بميزة حفظ الطاولات تلقائياً للزبائن الدائمي الارتياد .

كان هنالك حديث يومي للأشخاص الثلاثة بعد لعب الكونشينة و بدء استراحة الشاي .. حديث بدأ لديهم منذ حوالي يومين أو ثلاثة .. كان يطيب للكهل الستيني العمر أن يستمع إليه و هو يدخن الغليون و يرتشف الشاي .. الحديث بالنسبة لهؤلاء كان بكل بساطة عن غرائب أشخاص معينين و كيفية حياتهم و موتهم ، و هو ما كان يشكل لذة الاستماع للكهل الجالس بجانبهم ينصت إليهم بهدوء و صمت .

يبدأ أحدهم الكلام عن أحد الأشخاص قائلاً .. هل سمعهم قصة فلان ؟؟ إنها أغرب قصة .. الرجل كان يمتلك موهبة الحفر على الخشب بطريقة لا أحد يتقنها غيره .. و للأسف لم يعطِ لأحد سر المهنة هذه .. و ما لبث أن مات و ذهب سرّه معه .

يجيبه الشاب الثاني .. هل سمعتم بقصة فلان ؟؟ أنها أغرب من قصتك أنت .. هذا الرجل كان الوحيد القادر على الضرب المندل و معرفة الطالع و الشفاء بالرقى السحرية و الكشف عن المخفي و المستور و تطويع الجان .. و لم يعرف أحد سر ذلك و قد حاول كثر معرفة هذا العلم ، لكنه لم يعط هذا العلم لأحد .. و مات و ذهب سره معه .

يأخذ الثالث مجة من النارجيلة و ينفث دخانها في الهواء ثم يرتشف رشفة من الشاي الساخن و يخاطب زميليه .. يا سيدي أنا أعرف شخص كان إقطاعي و ملاّك أرض في بلدتنا .. و قد كان يمتلك الأقنان و الأطيان و يتسلط على الأعيان في معظم الأحيان .. و قد بلغ من غناه أنه كان لديه جرة فخارية كبيرة مملوءة ذهباً .. لكنه شاء ألا تكون لأحد من بعده .. و قد حاول جميع أولاده و أقاربه معرفة مكان دفنها ، لكنه لم يَبُح بمكان وجودها لأحد .. و مات الرجل و ذهب سره معه .. و لم يعرف أحد أين جرة الذهب هذه .

مر يومين أو ثلاث على هذه الحالة .. و الخلاّن الثلاثة يتداولون قصص غرائب الأشخاص و أسرارهم و علومهم الخاصة .. رجل يصنع صابون غريب عجيب يشفي الجلد من الامراض و لا أحد يعرف الخلطة السرية له .. رجل يقوم بتركيب سائل يشفي العين بلمح البصر و لا أحد يعرف سر الخلطة هذه .. آخر يشفي الأمراض بخلطة أعشاب سرية .. آخر .. و آخر .. و كل هؤلاء ماتوا و ذهبوا دون أن يعطوا سرهم لأحد .

آخر رواية كانت عن رجل يفك السحر و الربط بقراءة كلمات روحية لم يقلها لأحد .. عندما أتاهم فجأة صوت الرجل الكهل بجانبهم .. الذي لم يعيروا لوجوده أي انتباه .. أتاهم الصوت قائلاً .. أيها السادة الأفاضل الأجلاء .. منذ أيام ثلاثة و أنتم تتداولون في غرائب الناس و أسرار علومهم و أعمالهم التي لم يعرضوها على الناس .. الذين حاولوا ملء جهدهم و عظيم حيلهم ، الحصول عليها .. فلم يفلحوا في ذلك .. و مات هؤلاء و ذهبت أسرار مهنهم معهم .. أما أنا فإنني أعرف شخص قصته أغرب من كل شخصيات قصصكم تلك .. لا بل أغرب من الخيال .. و لا يمكن تصورها .. لأنها شيء عجيب غريب حقاً .. و لم أعرف لها تفسيراً حتى الان .

انتفض الأصدقاء الثلاثة بدهشة و ذهول ، اتجاه مصدر الصوت و حملقوا بالرجل بعجب .. ثم قالوا جميعاً بصوت واحد .. من هو هذا الشخص ؟؟؟!!!! و ما هي قصته العجيبة تلك ؟؟؟!!! أفِدنا أفادك الله .

أزاح الكهل ، الغليون من فمه ثم نفث ما تبقى من دخان في الهواء و قال .. قصة هذا الرجل أيها السادة ببساطة هي أنه عالم مخترع .. درس في الجامعات و الأكاديميات الأجنبية و اطّلع على مجمل العلوم الفكرية و برع بها و تحصّل على أعلى الشهادات فيها .. و له مؤلفات و كتب و مطبوعات في علوم شتى .. علم الاجتماع و المجتمع .. و حاصل على جوائز علمية تقديرية .. ذلك كله في الخارج عند دول الغرب .. لكنه عبثاً حاول نشر علمه و فكره في مجتمعاتنا هنا فلم يفلح .. عبثاً حاول نشر الثقافة و الفكر بين الناس و إعطاءهم و لو جرعات خفيفة منها تقيهم شر الجهل و نوائبه و عواقب مصائبه ، فلم يفلح و ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .. إذا أعرضوا عنه و أصمّوا آذانهم عن قوله .. و مات الرجل و ذهب فكره معه .

نظر الرجال الثلاثة بعضهم إلى بعض ، ثم هزوا برؤوسهم علامة عدم الفهم و عدم الإعجاب و الارتياح .. ثم عادوا إلى سيرتهم الأولى فيما كانوا عليه من غرائب الأشخاص و عجائبهم .

وين برنيا

إنه يتذكره تماماً .. كان معه في المدرسة .. طالباً خلوقاً مهذباً متديناً .. لكنه و بالرغم من كل هذا .. كان فقيراً معدماً .. لا يملك شروى نقير و أحياناً لا يملك قوت يومه .. أسرة فقيرة معدمة تعيش على الفتات و على المساعدات الإنسانية الخيرية من أهل الخير و النخوة .. والده كان عاملاً فقيراً في أحد مصانع الدولة اضطره مرضه المزمن و تعبه إلى التقاعد المبكر و العمل كحارس ليلي في مزرعة لأحد الأثرياء .. والدته امرأة شبه أمّية اضطرت هي الأخرى بدورها للعمل عاملة تنظيف و خدمة في البيوت لتساهم في مساعدة الأب بإعالة أولادهم الثمانية .

على أن جد ما كان يثير إعجابه و دهشته في آن معاً .. هو عصامية تلك الأسرة و تدينها و أخلاقها العالية الرفيعة في الحي و التي كانت مضرب للمثل بين أهل الحي الذي كانوا يقطنونه .. يضاف إلى ذلك عفاف تلك الأسرة و تعفّف أفرادها جميعاً عن التذلل لأجل الحاجة و التملق لأجل التكسّب .. كان الصبر و عدم الشكوى .. شيمهم في الحياة للحفاظ على مستوى لائق من المظهر و الاحترام لدى عموم الناس .

كبر الصديقان معاً و شبّا على الطوق و بلغا سن المراهقة .. و مع ذلك لم يتغير شيء في صديقه .. لم يلاحظ أن صديقه قد طرأ عليه شيء من تغيير سواء في الوضع المادي أو حتى الوضع الأخلاقي أو الديني .. بقي هو كما هو .. الشاب المتفوق الأخلاقي صاحب الدين و الصلاح و التقوى .

أنهى الشابان مرحلة الدراسة الثانوية والتحق هو بالجامعة لإكمال دراسته .. أما صديقه الذي نال الشهادة الثانوية بتفوق عالٍ جداً و وصل إلى المرتبة الأولى التي لم ينازعه عليها أحد .. فقد فوجئ تمام المفاجأة أنه لم يكمل دراسته في الجامعة بسبب تردي أوضاعه المادية و أنه اتجه إلى الأعمال الحرة و التكسّب الحر ليعيل أسرته .. كان ذلك شيء مؤسف أشد الأسف له و مؤلم جد الإيلام ، أن يسمع مثل هكذا أخبار عن صديقه الذي اعتبر أن الدنيا قد ظلمته و أقدارها لم تنصفه .

مرت السنون و صالَت عاديات الزمن و جالت و إذا بالصديق يلتقي الصديق و قد فعل العمر فعله و اشتعل الشيب بالرأس و التجاعيد بالوجه .. كان يمشي في السوق لشراء بعض الحاجيات عندما وقفت بجانبه سيارة فخمة ترجّل منها شخص بدين تبدو عليه إمارات الغنى و الجاه .. يلبس من الثياب أبهاها و من رائحة العطور يفوح منه أقصاها .

وقف الرجل الثري ينظر إليه نظرة مطولة .. فوقف هو بدوره باحترام ينظر إليه .. و باستغراب و دهشة يرنو إليه .. خيّلَ إليه أنه رآه من قبل لكن أين ؟؟!! لم يعد يتذكر .. اقترب منه الرجل البدين صاحب إمارات الوجاهة و الملاءة و سأله .. عفواً سيدي .. ألست أنت فلان ؟؟ .

أجاب الرجل بخجل و فضول .. نعم يا سيدي أنا فلان !!!! .

- و لكن ألم تعرفني ؟؟!! أنا صديقك فلان !!! .

ما أن سمع الرجل اسم صديقه القديم حتى صاح بدهشة و استغراب .. أنت ؟؟!! أنت ؟؟!! أنت الذي كنت فقيراً معدما نحيلاً هزيلاً ؟؟؟!!!! (ثم استدرك نفسه قائلاً) أنا آسف .. آسف جداً .. أرجوك لا تؤاخذني يا صديقي العزيز .. أرجوك سامحني .. لكن المفاجأة قد أربكتني قليلاً .

هدأ الغني من روع صديقه و قال له .. لا عليك يا صديقي العزيز .. لا عليك .. أخبرني عنك و عن أحوالك .. كيف هي أمورك ؟؟ .

أطرق الرجل بنظره إلى الأرض و قال .. للأسف يا صديقي الوضع المادي عادي .. ليس بأجيد .. بمعنى أنه يمكنك القول .. تحت الوسط .

- حسناً .. إذا لم يكن لديك مانع .. ما رأيك أن أدعوك إلى فنجان قهوة في مقهى هذا الفندق الفخم ؟؟ إنني مشتاق للتحدث معك .

في المقهى جلس الصديقان يتحدثان كان الغني يستمع إلى أقوال و حديث صديقه العادي البسيط الذي ما أن انتهى من كلامه حتى سأله .. و أنت يا صديقي العزيز كيف أصبحت هكذا غنياً و أوضاعك فوق الريح و قد عرفتك فقيراً معدماً و كنت ألفينّك لا تملك قوت يومك و واقع تحت براثن الجوع و الفقر أنت و أسرتك بجميعاً ؟؟؟!!!! .

أشعل الغني سيجاراً كوبياً ضخماً و نفث دخانه في الهواء ثم قال بأريحية و هدوء .. سوف أكون صريحاً معك يا صديقي العزيز القديم ، فأنت من أعز أصدقائي المُخلّص و كنت دائماً عوناً لي في أيام الطفولة و الصبا .. و لهذا لن أخفيك سراً أرجو أن تكتمه في نفسك .. في الواقع يا صديقي و بكل بساطة .. لقد بعت ديني بدنياي .

نظر الصديق البسيط إلى صديقه الغني بدهشة و ذهول و قال .. لم أفهم بالضبط ماذا تقصد .. ماذا يعني بعت دينك بدنياك ؟؟؟!!! و كيف ؟؟؟!!! .

- الأمر بسيط .. هنالك شركة أو مؤسسة عالمية تشتري الأديان من أصحابها و تعطيهم بدلاً منها الدنيا و حطامها .. تذهب إليهم و تقول لهم أنك تريد أن تبيعهم دينك فيعطونك استمارة معلومات عنك و عن دينك و عقيدتك تقوم أنت بكتابتها ثم يجرون معك حواراً حول قناعاتك و معتقداتك الدينية و بعدها ، يقومون بالرد عليك بعد شهر أو اثنين على الأكثر .. و إذا وافقوا على ذلك .. أعطوك مالاً وفيراً شرط أن تترك قناعتك الدينية .

أطرق الرجل البسيط برأسه إلى الأرض يفكر مذهولاً مستغرباً .. تلك كانت أول مرة يسمع فيها هذا الكلام .. فجأة خطر له خاطر ، فنظر إلى صديقه و سأله بفضول .. هل تقصد أنني ممكن أن أذهب إليهم و أعرض عليهم بيع ديني بدنياي ؟؟؟!! .

- نعم .. نعم يا صديقي العزيز .. يمكنك ذلك حقاً .. و إذا أردت ممكن أن أعطيك عنوانهم في الخارج و تقوم بزيارتهم و تبيع دينك بدنياك .

- أشكرك يا صديقي العزيز .. إنني اقبل ذلك بكل سرور .. انتبه .. إنني أفعل ذلك من باب الفضول .. فقط لا غير .. و الآن من بعد إذنك .. أعطني عنوان هؤلاء القوم إذا تكرمت .

- حسناً يا عزيزي .. هاك العنوان .. اكتبه على ورقة .

لم يضع الرجل لحظة واحدة ففي اليوم التالي قدم طلباً لاستخراج جواز سفر و قدم طلب فيزا زيارة من سفارة الدولة الموجودة فيها تلك المؤسسة ، ثم قام بسحب مدخراته من المصرف لتمويل سفرته إلى الخارج .

بعد فترة .. كان الرجل على متن الطائرة متجهاً إلى البلد المقصود .. و عند وصوله .. اتجه من فوره إلى عنوان المؤسسة شارية الأديان .. هنالك قدم طلباً و قام بكتابة الاستمارة المطلوبة و من ثم خضع لمقابلة شفوية تحاور فيها مع بعض المختصين و أجاب على الأسئلة و الاستفسارات . و عاد في اليوم التالي إلى بلده على متن أول طائرة مسافرة .

بعد حوالي الشهرين وصلته رسالة من المؤسسة المذكورة جاء فيها .. (عزيزي السيد فلان .. يؤسفنا عدم قبول عرضكم علينا ببيع دينكم الموقر و عقيدتكم الغراء المحترمة .. و ذلك لأنه اتضح لنا بعد الدراسة و البحث و التمحيص الشديدين .. أن تلك العقيدة هي عقيدة مزورة .. و نحن لا نشتري أديان و عقائد مزورة .. نكرر أسفنا قبول بضاعتكم تلك و نرجو لكم حظاً أوفر .. تقبلوا تحياتنا ..

المخلص لكم .. فلان .. التوقيع) .

مذكرات وجال

ولدتُ في بيت تقي مملوء بالإيمان و الصلاح و التقوى .. و كان والدي رحمه الله من الوجهاء المحترمين المحبوبين في البلدة و كان كريماً كثير الكرم و الجود .. يحرص على فعل الخير و تجنب الموبقات و الآثام .. كما كان رحمه الله لا يسرق أبداً .. و لم يسرق أو يكذب في يوم من الأيام أبداً و لم يزني أو ينزو على أحد أو عرض أحد أو رزق أحد .. أما جدي فقد كان رحمه الله من كبار العلماء .. و كان قوياً شجاعاً .. حدث ذات مرة أن هجم عليه قطيع من الذئاب .. فبدد شملهم بعصاً كانت معه .. كما حدث ذات مرة أن هاجمت البلدة ، مجموعة من اللصوص و قطاع الطرق و حاولوا الاعتداء على الأهالي و سرقة بيوتهم ، فتصدى لهم جدّي .. أيضاً بالعصا نفسها التي كانت معه و هجم عليهم كالأسد الهصور و النسر الجامح و صاح بهم صيحة مرعبة قضت مضاجعهم و بددت شملهم و فرقتهم كالفئران المذعورة حيث لم يجرؤوا بعدها على العودة ثانية إلى القرية .. بعد هذه الحادثة توافد الأهالي من البلدة و من مختلف البلدات المجاورة ليشكروا جدي الفضل على ما قام به من بطولات و رجولات في طرد الغزاة و المحتلين و اللصوص و الأوغاد ، و ليقدموا له فروض السمع و الطاعة و الاحترام ، نظراً لشهامته و دماثة أخلاقه .. و ما زاد جَدّي رفعة و مكانة عند القوم .. أعاليهم و أباطحهم .. هو أنه كان عالم علاّمة اشتهر بعلمه و غزارة ثقافته حيث كان رحمه الله كثير

القراءة مجتهداً مكبّاً على العلوم و المؤلفات و المخطوطات .. و كان يوجد في قصره .. عفواً بيته المتواضع .. مكتبة كبيرة ضخمة تحوي في طياتها أمهات الكتب و فراخها .. نسيت أن اخبركم أن جدي رحمه الله قد تزوج أربع نساء جميلات عفيفات طاهرات و قد طلق من قبل خمسة غيرهن .

أما والدي رحمه الله فقد كان أيضاً مثل جدي تماماً .. نسخة فوتوكوبي عنه .. الله سبحانه خلقهما هما الاثنين و كسر القالب .. و لقد حمل والدي راية جدي و كان مثال الشرف و الأخلاق و الطهارة و العفة و هو من المرأة الرابعة التي تزوجها جدي و التي كانت أجمل نساء البلدة .. و لا أخفي عليكم أيضاً أنني أنا أيضاً من الزوجة الرابعة لوالدي ..

لقد كان لوالدي و جدّي باع طويل في حب الوطن و مقارعة المستعمرين و الغزاة المحتلين و الطامعين بأرض الأجداد و الأمجاد .. و في إعطاء دروس الوطنية المجانية لمن يشاء من الخلق .. و كثيراً .. كثيراً .. كثيراً جداً ما تجمهر و تحلّق الوجهاء و الأعيان في دارتنا قديماً ليتشاوروا معه في الأمور و القضايا الوطنية .

منذ نعومة أظفاري تربيت تربية دينية صالحة على حب الخير و الأخلاق و الفضيلة و حياتي كلها قضيتها بالصلاح و التقوى و كنت مكبّاً على العلم و كنت دائماً و أبداً أساعد أصدقائي الفقراء و المحتاجين و أمد لهم يد العون .. طبعاً لا أخفيكم أنني كنت الزعيم عليهم و كنت قائد الأوركسترا لهم .. منذ صغري كنت أدافع عن الحق دائماً و لا اقول إلا الحق .. و لم أتفوه بكلمة كذب في يوم من الأيام .. و كنت أواظب دائماً و دوماً على فروضي و واجباتي الدينية .. كنت في الدراسة المتفوق الأول على أصدقائي و كنت مثار إعجاب مدير المدرسة و باقي الطلاب و أذكر يوماً أن أستاذ الرياضيات عجز عن حل مسألة رياضية معقدة و صعبة و لم يستطع معرفة الجواب الصحيح لها ، فقمت أنا و حللتها

أمام الحاضرين ، فتعجب الجميع مني و من مقدرتي الخارقة على حل هذه المسألة الرياضية الصعبة المعقدة .

أما عن أعمالي التجارية و شركاتي المتعددة الضخمة و أموالي الهائلة الطائلة التي لا تأكلها النيران ، فهذه لها قصة طويلة فيها الكثير من الحكمة و الموعظة الحسنة ..

أنا أيها القارئ العزيز .. من المعروف عني أنني إنسان عصامي شريف نزيه مستقيم عفيف اليد و اللسان و الـ ..... . و قد بدأت قصة التجارة و المال معي عند سن المراهقة حيث أعطاني والدي فرنك واحد .. شلن .. مليم أحمر و قال لي اذهب يا فتى و اعتمد على نفسك و كوّن تجارة بهذا الفرنك الشلن المليم .. و فعلاً بدأت العمل بجد و تعب و كد .. كنت أفلح فلاحة كالثور الاسباني أو البغل القبرصلي فأصبح الفرنك فرنكان .. و الفرنكان أربعة .. و الأربعة ثمانية .. و هكذا تضاعف العدد حتى أصبح مئات الملايين بل قل المليارات .. و اصبح لدي مؤسسات و شركات و أصبحت أقوم بأعمال الخير و المناقصات و السياحة و غير ذلك الكثير الكثير .. و كل ذلك بتوفيق من الله و رضاه عني .. و الحمد لله رب العالمين و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

مناظرة حول صنم

جلس الاثنان .. بعضهما مقابل بعض في جلسة حوارية نشطة حول خلاف ديني عقائدي مذهبي .. كانت جلسة حامية الوطيس دار فيها الحوار التالي ..

الأول .. أنتم جماعة مشركة مارقة مرتدة عن عقيدتنا عقيدة الحق .. أنتم تقولون إن الإله الصنم يمكن أن يكون مصنوعاً من مادة أخرى غير الذهب و هذا شرك كبير بإلهنا الصنم الذي لا يجب أن يكون مصنوعاً إلا من الذهب الخالص .. و هذه حقيقة أنتم تعرفونها حق المعرفة و هي موجودة في كتبنا و معترف بها من كل رجال دين المذهب .. و كلامكم هذا بدعة جديدة خطيرة و هرطقة و شرك لا أساس لهما من الصحة تخالف عقيدتنا التوحيدية .

الثاني .. كلامك غير صحيح يا أخي .. فإلهنا الصنم هو إله متواضع .. صحيح أنه يحب الذهب و يحب أن يكون مطلياً بالذهب .. لكنه يتصف أيضاً بالتواضع و الإيثار فهو لا مانع لديه أن يكون مطلياً بغير الذهب أو أن يكون منحوتاً بغير الذهب بشرط أن يكون من مواد محددة كالخشب الغالي النفيس أو الفضة أو العقيق أو الجص النادر أو الصخر الغير مدنس .. و هذا موجود في كتاب كذا صفحة كذا .. راجعه بنفسك و تأكد من ذلك .. كما أن إلهنا الصنم قد راعى

نقطة هامة جداً كي يحقق لنفسه الانتشار بشكل واسع النطاق .. و هي إدراكه التام أن هنالك شعوب و مناطق فقيرة في هذا العالم المترامي الأطراف لا يوجد بها موارد تعينها على أنتاج الذهب أو تجارته أو تصنيعه أو شراؤه .. فهو يدرك ذلك حق الإدراك .. و لهذا و من باب عطفه و تكرمه .. لا بأس عنده أن يُصاغ و يُنحت من الفضة أو الخشب أو الجص او الحجارة .. لكن شرط أن تكون طاهرة و من نوع معين .

الأول .. هنالك بدعة أخرى قمتم بها لا تمت إلى عقيدتنا بصلة .. و هي أنكم تعتبرون أنه يجب تقديم الفواكه و الثمار للصنم الإله إلى جانب الأضاحي و الذبائح .. و هذا شرك محض بالصنم .. فإلهنا الصنم لا يقبل سوى الذبائح من بقر و عجول و خراف و أكباش ، كقرابين له في المناسبات الدينية .. أما الفواكه و البقوليات فهي للأصنام الأخرى الأقل شأناً منه .. و في هذا كفر و شرك كبيرين بإلهنا الصنم الكبير .. و من المعروف في كل كتبنا الدينية أنه لا يجوز تقديم إلا القرابين الحيوانية لإلهنا الصنم .. و أتحداك أن تأتي بدليل واحد أو نص من الكتب الأساسية ، ينص على غير ذلك .

الثاني .. نحن لا نقول أنه لا يجب تقديم الذبائح غير الحيوانية للصنم الكبير و لا يوجد لدينا نص صريح في هذا الشأن .. و لكن أجمع شيوخنا و رجال ديننا على أنه من باب ربط الأصنام الأصغر شأناً ، بالصنم الكبير إلهنا ، فإنه يمكن في شروط محددة جداً تقديم الفاكهة و الحبوب و في حال كان ذلك نذراً مستعجلاً و لم يتوفر حيواناً للذبح .. و حاشا لصنمنا الكبير أن نفعل ذلك شركاً به أو تقليلاً من شأنه .

الأول .. أنتم تحللون قطع العبادة و الصلاة عند الصنم الكبير و إعادة استئنافها في وقت لاحق .. و هذه بدعة كبيرة و ذنب فظيع لم يرد فيه نص في كتب

الأولين من رجال ديننا الأفاضل المبجلين .. كما أنكم تخللون جواز أن يتلو الشخص المؤمن الصلاة و الترانيم بعيداً عن الصنم الكبير حتى و لو كان الصنم على مقربة منه أو كان باستطاعته الوصول إليه .. أليس هذا كفراً كبيراً بصنمنا الكبير و ضلالة ما بعدها ضلالة ؟؟!! .

الثاني .. ما المانع في ذلك يا أخي ؟؟!! إذا كانت هنالك حاجة ملحة مستبدة تضطر الرجل العابد إلى قطع صلواته و ترانيمه ، فليفعل ذلك لأن إلهنا الصنم هو إله يقدر ظروف عبيده .. خاصة و أننا الآن في زمن ليس من الماضي .. نحن في زمن ذي تعقيدات و حاجات كثيرة ملحة للإنسان .. و هذا ما أجمع عليه رجال ديننا الأكارم .. أما بالنسبة للصلاة بعيداً عن الصنم ، فكلامك هو الذي فيه إساءة للصنم الكبير .. فأنت تعرف أن صنمنا الكبير المبجل موجود في قلوبنا جميعاً و ليس من الضرورة بمكان أن نصلي بالقرب منه دائماً .. هذا يجعله هو من بحاجة إلينا و ليس العكس الذي هو الصحيح .

الأول .. أنتم أيضاً أتيتم ببدعة جديدة و خطيرة و هي .. أنه يمكن لصاحب القربان أن يتقدم به إلى الصنم دون وجود الكاهن القائم على معبد الصنم الكبير .. و هذه جريمة كبيرة لا تغتفر و لا يمكن أن يوجد لها أي مبرر و لم يسبق يوماً في تاريخ ديننا القويم الصحيح أن وقعت مثل هكذا واقعة .. فكيف سمحتم لأنفسكم أن تقترفوا مثل هكذا ذنب كبير لا يغتفر ؟؟؟!!! .

الثاني .. أنت تعرف .. الكاهن هو إنسان بشري مثلنا و ليس إلهاً كصنمنا الكبير المعظم .. و يمكن لهذا الكائن البشري أن يقترف أخطاء لا يمكن القبول بها .. و أنت تعرف أيضاً أن القائم على القربان لا بد أن يكون إنساناً طاهراً مؤمناً عارفاً بالصنم و خالٍ من الرجس و العيوب الأخلاقية .

الأول .. و لكن للكاهن مرتبة دينية لا يمكن تجاوزها .. و أنت تعرف أيضاً .. الكاهن أخطاؤه مغفورة من قبل الصنم الكبير .. كما أنه يعيّن من قِبله مباشرة و بالتالي أخطاؤه تخصه وحده .

الثاني .. كلا كلا .. الكاهن ربما يكون أمام الناس لا يحاسب على خطأه .. لكنه امام القربان و الصنم هو غير مقدس .

الأول .. هذا تجديف .. و كفر وشرك كبيرين بالصنم .. أنت كافر مارق ضال و نحن أصحاب الدين الصحيح القويم .

الثاني .. بل أنت الضال المضلل و المشرك .. و نحن أعدنا الدين إلى جادة الصواب و الحقيقة .

تعالت الأصوات و الصراخ بين الرجلين و همّا بضرب بعضهما بعضاً لولا أن تدخل مدير الحلقة و قام بالتخليص بينهما و أعلن انتهاء الحلقة .

سلالة حمير

ضرب القاضي بمطرقته على منبر القضاء و العدل الخشبي المزخرف بآيات ونقوش العدالة و الميزان .. معلناً بدء جلسة قضائية جديدة لقضية جديدة .

كان حشد لا بأس به من الناس قد تجمهر لحضور هذه القضية العجيبة الغريبة التي لم يُرَ مثلها العباد في البلاد و لا على شاكلتها في الأصقاع .. أُضيفَ إلى ذلك أيضاً أن القاضي لم يكُ شخصية عادية مألوفة العمل و القضاء ، بل كان شخصية فذة حكيمة كتب عليها الزمن آثاره و صروفه و حوادثه .. قد خبرَ الحياة و عَرِكها و مرت عليه معظم سواهيها و دواهيها .

وقف الخصمان المختصمان و خلف كل منهما جمهورهما المؤيد لهما و الحانق الغاضب على الآخر أو المستهزأ به . أومأ القاضي الحكيم العادل بيده ثم ضرب بمطرقته و قال .. من منكما أيها الرجلان هو المدّعي و صاحب المظلمة ؟؟ فصاح الأول .. أنا هو يا سيدي القاضي .

نظر إليه القاضي من خلف نظارته الطبية المدورة العتيقة اللامعة وقال بهدوء و تدبّر .. حسناً أيها الرجل .. اعرض علينا قضيتك .. ما هي مشكلتك ؟؟

.

وقف الرجل باحترام و قال .. يا سيدي القاضي .. هذا الرجل يحتال علي دائماً .. يحتال عليّ في كل شيء .. ليس هذا فقط .. إنه لا يحتال علي الآن بل فيما مضى و سلف من وقت و زمن .. ليس ذلك فقط يا حضرة القاضي .. بل أن سلالته أيضاً هي بدورها ، منذ القدم تحتال على سلالتي .. منذ سنين عدة يفعلون ذلك .. أبوه احتال على أبي .. جده احتال على جدي .. جد جده احتال على جد جدي .. و الأقدمون من سلالته فعلوا هذا مع الأقدمين من سلالتي .

هز القاضي برأسه علامة العجب العجاب و الدهشة مما سمع و قيل له ، ثم نظر إلى المدعي و سأله بوقار و هدوء زائدين .. بما احتال هذا الرجل و سلالته ، عليك و على سلالتك أيها المبجل المحترم ؟؟؟!!! .

أجاب المدعي بصوت مرتجف رخيم يشبه البكاء و يثير العطف و الحنان و يستدر الخير و الإحسان .. أيها القاضي الموقر .. لقد احتال هذا و سلالته علي و على سلالتي بكل شيء .. سرقوا أراضينا بالنصب و الاحتيال .. منذ القدم ، أجداده كانوا يحتالون على أجدادي و يستغلون طيبة قلوبهم فيأخذون منهم أراضيهم بالحيلة و اللين و السياسة .. كذا الأمر فعلوه مع أموالهم التي أخذوها منهم بحجة التجارة و الربح و لم يعيدوها لهم حتى الآن .. كذا الأمر فعلوه مع مواشيهم وأنعامهم و أبقارهم و نوقهم و حميرهم .. و كله بالحيلة و باستغلال طيبة قلوبهم و عواطفهم الجياشة .. و استمر هذا الأمر بالتواتر و التسلسل إلى يومنا هذا .. حيث يفعل خصمي هذا الشيء نفسه الذي فعله آباؤه و أجداده و أسلافه مع آبائي و أجدادي و أسلافي .. هذا هو الأخير من ذريتهم و سيد عائلته ، يحتال علي أنا سيد عائلتي و يسرق أموالي و فكري و تراثي و كله بالحيلة و استغلال العواطف الجياشة و حسن النوايا و الطوايا .

أطرق القاضي ملياً يفكر في هذه القضية العجيبة الغويصة ، ثم نظر إلى المدعي و سأله بهدوء .. هل لديك يا سيدي ما يثبت أقوالك تلك و يدعم حججك و يؤكد منطقك هذا الذي تتفضل به ؟؟؟!!! .

أحنى الرجل رأسه بإيجاب الواثق من نفسه و أخرج من حقيبة جلدية كانت معه .. أخرج أوراق قديمة جداً بعضها مهترئ و بعضها مكتوب بلغات قديمة و بعضها مستحدث و بعضها الآخر حديث .. بعضها من الجلد و بعضها من الورق السميك .. و بعضها من الورق المقوى .. و الآخر من الورق العادي .. أخرجها من كمّه و أعطاها للقاضي قائلاً .. هاكم وثائق قديمة تثبت ذلك و تثبت كيف أن الجد الأول لسلالته احتال على الجد الأول لسلالتي ، و من بعده ولده ثم ولده ثم ولده .. حتى الآن .. هاكم إياها .. انظروها و تثبتوا من صدق كلامي و منطق حجتي .

أخذ القاضي يطالع الأوراق بدهشة و ذهول كبيرين و يتفحصها بعناية ، ثم نظر إلى الثاني و قال له .. هل أنت المدعى عليه ؟؟!! .

أجاب الثاني .. نعم يا سيدي القاضي .. أنا المدعى عليه .

تأمله القاضي ملياً بحيرة و دهشة ثم قال له .. هل لديك يا سيد ما يدحض كلام خصمك الأول و ما اتهمك به أنت و سلالتك و ما أبرزه من أوراق و وثائق تدعم مقولته و حججه و اتهامه لك و لسلالتك بالنصب و الاحتيال ؟؟!! .

قال الثاني بإقرار كمن يسلم أمره .. كلا يا سيدي القاضي .. للأسف الشديد .. ليس لدي ما يدحض هذا القول .. و ليس لدي أية وثائق أو أدلة تنفي ما قاله هذا الرجل .

سأله القاضي مرة أخرى : هل لديك ما تقوله في هذا الشأن ؟؟!! .

أجاب المدعى عليه بثقة و إقرار .. لا يا سيدي القاضي ، ليس لدي ما أقوله في هذا الشأن .. و لا أعرف حقيقة ماذا أقول .

أعاد القاضي النظر في الأوراق ثم أطرق ملياً يفكر و يفكر و يقلب الأمر من وجوهه كافة .. و متدبراً إياه من أرجائه المتعددة . بينما ساد صمت رهيب في أرجاء القاعة الفسيحة .. كان الكل في حالة ترقب و عيونه تشخص باتجاه القاضي بانتظار ما سيقوله .

مرت فترة لا بأس فيها من الوقت .. بعدها رفع القاضي رأسه ثم نظر إلى المدعي و قال له .. حكمي هو أنك أنت و سلالتك من فصيلة أكمير ، طالما أن الاحتيال واقع عليكم منذ القِدم و حتى الآن .. و لهذا فإن تعرّضكم للاحتيال من هذه السلالة الذكية سيستمر إلى ما شاء الله و سيحتال ولده على ولدك و ولد ولده على ولد ولدك و بقية ذريته على بقية ذريتك إلى الوقت المعلوم .. رُفِعت الجلسة .

السكران

كان يسمع هذه الكلمة كثيراً و يقرأ عنها كثيراً أيضاً .. **النفاق** .. هذه الكلمة التي صاغت لنفسها مكاناً في عقله و مخيلته و تركت لمعناها أثراً في وجدانه و وعيه . و من كثرة ما تداولتها الشفاه و تناقلتها الألسن .. أصبح لهذه الكلمة حساسية لديه .

وجدت هذه الكلمة أثرها و مكانها في البيوتات الدينية و الدروس و الخطب و الكتب ذات الدين التي كان يراها و يطالعها و يسمعها .. كما وجدت لها مكاناً و أثراً في البيوتات الفكرية و الدروس و الخطب و الكتب ذات الفكر و الثقافة التي كان يراها و يطالعها و يسمعها .. كذا الأمر في قوارع الشوارع و الأزقة و البيوتات الاجتماعية .

على إن أثر هذه الكلمة القبيحة و مفعولها الرجعي المؤلم .. لم يبدأ ينغّص عليه حياته و فكره و عقله إلا حينما بدأ يطرق باب الدين و التدّين و الوعظ الأخلاقي .. إياك أن تكون كاذباً .. فالكذب هو النفاق .. والنفاق هو الفعل القبيح المستقبح و هو عمل السوء الذي يودي بصاحبه إلى الجحيم .. ثم إياك و إياك أن تكون أمام الناس بوجهين و لسانين و قولين .. فذاك أيضاً شِشْنة من شِشَن النفاق الذي لا ينفع صاحبه شيئاً و لا يشفع له أمام الناس قولاً و لا عدلاً .

و لكن .. فكّر في نفسه .. كيف لي أن أخرج من حالة النفاق تلك ؟؟ كيف لي أن لا أكذب .. و أخاشى قول الصدق أحياناً ؟؟!! هنالك الكثير من الحوادث التي أتعرض لها و لا أستطيع فيها فكاكاً من الكذب و حجب الحقائق و إخفاؤها .. أليس هذا هو النفاق بعينه ؟؟؟ هنالك الكثير من المواقف و الأوضاع التي أكون فيها محرجاً جد الإحراج و مضطراً كثير الاضطرار للتملق و المجاملة .. فأضطر لهما صاغراً مرغماً .. أليس هذا هو النفاق بعينه ؟؟ أليس هذا هو الخبث و الدجل بحد ذاتهما ؟؟ .. يا ويلنا ماذا أفعل ؟؟ ما أصنع ؟؟ كيف أتصرّف ؟؟ هذه حالة لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية .. مستحيل .. رجل بمثل أخلاقي و مكانتي و روحانيتي و تَديّني .. لا يمكن له المضي هكذا قدماً في مثل هكذا وضع .. و لكن ماذا أفعل و كيف أصنع في ظروف مجتمع ضاغطة لا تقبل الصراحة و المجاملة و لا يمكن العيش فيها إلا بالكذب و النفاق و المجاملة و الرياء ؟؟!! .

إزاء هذه المعضلة الفكرية الأخلاقية الذهنية الكبيرة .. فكّرَ ملياً بحلول ناجعة لمشكلة التعامل مع بني البشر دونما كذب أو رياء .. أو على الأقل تكون حلاً وسطاً فيما بين ذلك .. و أمر بين أمرين .

قضى أوقاتاً طويلة عصيبة يفكر بالقضية و ملابساتها .. و يقلبها من وجوهها .. كانت قضية النفاق و الكذب و الرياء بالنسبة إليه .. قضية هامة خطيرة لا يمكن التسامح معها .. و خطاً أحمر لا يمكن تجاوزه .. و مع كل ذلك و بالرغم من كل تفكيره و إشحاذه لعقله و فكره .. فإنه لم يتوصل إلى حل ناجع يحل مشكلة الكذب و النفاق لديه .

أثّرت هذه المعضلة فيه لدرجة كبيرة و تركت في نفسيته ندوباً بليغة .. كان يسهر الليالي الطوال .. يفكر بهمّ و حزن و غم و كرب مستدام كيف يحل مشكلة النفاق لديه .. إنه لا يستطيع أن يكون منافق و أن يكون صريحاً مع الناس في آن معاً .. و لم يستطع حتى الآن أن يوفق فيما هذين الأمرين أو يجد أمراً بينهما .

كان يحتسي القهوة بشراهة و يدخن في اليوم الواحد علبتين أو ثلاث من السجائر مستغرقاً في التفكير .. و مع ذلك لم يتوصل إلى حل لزلكما النقيضين .. النفاق و الصراحة الصادقة مع الناس .

مع تقدم الحالة به .. انتابته نوبات من الحزن و الكآبة .. أخذ يعاقر الخمرة بشكل كبير و لدرجة وصلت به إلى الإدمان و .. **السُكر** .

حالة السكر هذه حادت به إلى أن يسيء الأدب مع بعض الناس و المارة في الشارع و أن يخرج كل ما في جوفه من كلام و مشاعر ويقولها أمامهم .. حاول أهله و رهطه و بنو قومه الأقربون ثنيه عن ذلك و ردعه عما سلك به من سبل احتساء المنكر و حالة السُكر ، فما أفلحوا في مسعاهم هذا و ما نجحوا في مبتغاهم ذاك .

يوماً بعد يوم .. بدأ يشعر براحة غريبة .. إحساس من نوع أنه .. مرتاح .. سعيد بعض الشيء .. عبئ كبير مُلقى عنه كاهله .. و هَمّ ثقيل مُزاحٌ عن عاتقه .. لم يدرِ السبب في ذلك .. لكنه كان متأكداً أن هذا التحول السعيد المفاجئ كان و لا يزال ، بعدما تلقى الجرعات الأولى من الخمر .. لاحظَ أيضاً أن معضلة النفاق الفكرية .. لم تعد تُشكل له هذا الهاجس الأخلاقي الفظيع .. حاول بدوره معرفة السبب .. إلا أنه لم يستطع بالضبط تحديده .. حتى جاء ذاك الحوار بينه و بين صديقه المتدين الذي كثيراً ما كان يعظه حول تصرفاته الأخيرة تلك و يقول له .. حرام عليك يا رجل !! حرام عليك يا هذا !! .. انظر لنفسك .. لقد أثرت الخمرة على صحتك كثيراً .. و تسببت لك بالكثير من المشاكل مع الناس و مع الوسط المحيط حولك .. دعك من أن الخمرة تؤثر على الصحة .. إنها قد أثرت على علاقاتك مع الناس و بالتحديد مع أصدقائك .. و بالذات و الخصوص بعد أن تدخل في حالة من السُكر الشديد .. أنت تعلم .. إن السُكر يجعل المرء

يتكلم بعفوية و صراحة شديدة مع الناس و يخرج كل ما في قلبه بعفوية و براءة شديدين .. و كما تعلم يا صديقي العزيز .. الصراحة الزائدة هذه الأيام غير مطلوبة كونها تجعل المرء يقع في مشاكل عديدة مع الناس و المجتمع .. و حتى مع الدولة إن شئت .

طنت هذه الكلمات المتسارعة التي نطق بها صديقه .. في أذنيه .. السُكْر .. الصراحة .. الناس .. نعم .. نعم .. إنها هي .. وجدتها .. لقد وجدتها .. لقد وجدت أحلى لمشكلتي هذه .. لن تكون صريحاً صادقاً مع الناس إلا كنتَ سكراناً .. نعم .. نعم .. أحلى الوحيدة التي ينتفي فيها نفاقك و لا تخجل من الناس .. هي عندما تكون سكراناً .. نعم لقد وجدتها .. لقد أصبحنا في زمن تكون فيه أحلى الوحيدة التي ينتفي فيها أحياء هي التي ينتفي فيها النفاق أيضاً .. و ذلك لا حل لمشكلة النفاق تلك إلا بـ ... **السُكْر** .. فطوبى لك أيها السُكْر طوبى لك يا قاتل النفاق .

الفزّاعة

اجتمعت العصافير بعد لأي و جهد كبيرين .. في شجرة الجميز الكبيرة الضخمة .. كانت بأعداد هائلة غفيرة .. ساد المكان .. هرج و مرج شديدين . زقزقة و صراخ من كل مكان .. هذا يصيح .. و ذاك يرفرف فوق الغصن .. و الآخر يحوم حول الشجرة لانتقاء مكان مناسب للجلوس .

بعد فترة وجيزة ساد هدوء تدريجي و صمت مطبق خيّما على المكان .. لم يخرقهما سوى صوت الأغصان و حفيفها المتأثر بهبوب ريح خفيفة .. كان رئيس العصافير و أعضاء مجلس حكمائهم التسعة ، قد حضروا و جلسوا في أعلى غصن من شجرة الجميز الهرمة الضخمة .. كان ذلك اجتماع سنوي اعتيادي ينعقد مرة كل عام للتداول في شؤون العصافير و أحوالها و أوضاعها المعيشية و الاجتماعية و الأمنية و الاستراتيجية .

كان من العادة أن يتم التداول في الجلسة التمهيدية للمؤتمر ببحث قضايا اعتيادية عمومية متعارف عليها تمثل خطراً داهماً على العصافير كقضية القطط و الهرة و التعامل معها و قضية الوقوع في الفخاخ .. أو تُشكّل أزمة اقتصادية خانقة كنقص الحبوب و الثمار .. أو أزمة سكنية تتمثل في إيجاد أمكنة لبناء أعشاش إضافية و ما إلى ذلك .

لكن هذه المرة .. كان الأمر مختلفاً جداً .. أمر لم يكن يطرح من قبل في المؤتمرات السنوية إلا بشكل استثنائي ثانوي و في قلة من الأحيان فحسب .. ليس إلا .. موضوع المؤتمر و قضيته هذه المرة كان .. **الفراعة** .. نعم .. تلكم الفراعة التي كانت توضع في الحقل لإخافة العصافير ومنعها من الاقتراب و التقاط الطعام و البذور .

بدأ رئيس العصافير الكلام و حوله أعضاء مجلس الحكماء الكبار السن من ذوي الريش الأبيض المنتوف بعضه بفعل الزمن ، فقال .. أيتها العصافير الموقرة .. أيها الأحبة الكرام .. نحن اليوم أمام معضلة كبيرة نتعرض لها منذ عشرات بل مئات .. لا بل آلاف السنين .. ألا و هي هذه الفزّاعة التي نحن بها من المبتلين .. هذه الطاغية الكبيرة التي تجثم فوق رقابنا و صدورنا منذ سنين طوال لا يعلم أمدها إلا الذي خلقنا .. إن هذه الفزاعة هي التي تمنع عنا الطعام و تمنع عنا الرزق و هي التي تتحكم فينا و بمعيشتنا .. هي ديكتاتور جاثم علينا يتحكم بنا .. و لذلك .. و بناء عليه و عليه بناء .. لا بد لنا من الانتفاضة على هذه الفزاعة و القضاء عليها و إسقاطها .. فهي سبب البلاء كله .. و هي التي تفعل كل هذه الأفعال بنا .. من الواضح أنها تسيطر علي كل شيء و تتحكم بمقاليد كل شيء .. حتى بني البشر لا يجرؤون على فعل شيء حيالها .. ألا ترون كيف أنهم يتحاشونها أثناء وجودها في الحقل و لا يقتربون منها بتاتاً ؟؟!! ألا ترون كيف أن هذه الفزاعة تبقى واقفة في مكانها ثابتة .. لا تتحرك و لا تتزحزح قيد أنملة .. صيفاً شتاءً ؟؟!! .. في حر القيظ ترونها باسقة نامقة غير عابئة .. و كذا الأمر في أزيز البرد و صقيعه ترونها شامخة فارعة غير عابئة .. ماذا يعني هذا أيها الأحبة ؟؟ إنه يعني شيئاً واحد و لا شيء سواه .. إن هذه الفزاعة تمتلك قوة خارقة و تتحكم بنا بواسطة هذه القوة .. هذا يعني أنها هي الكل بالكل و أنها تمتلك مقادير القوة والسيطرة و السلطان جميعاً .. و لهذا أيها الأحبة .. يجب

علينا من الآن و صاعداً العمل على إزالة هذه الفراغة اللعينة .. و الثورة عليها و إسقاط حكمها علينا .. و كونوا جميعكم على ثقة أيها الأحبة .. إنه بمجرد انهيار حكم هذه الفراغة و سقوطها .. سوف تتحول حياتنا إلى سعادة و هناء و رفاهية .. و يسود أيامنا العدل و الرخاء و الديمقراطية و ستكون سود الليالي وراءنا و بيضها أمامنا .. ثقوا بذلك أيها الأحبة .

تعالت الأصوات بالهتاف و الصراخ بحياة العصافير و زعيم العصافير و مجلس حكماء العصافير .. و تقرر البدء بوضع آليات للعمل و خطط للتنظيم و الإطاحة بالفراغة .

تبعاً لذلك .. بدأ التداول و النقاش و طرح الآراء و الأفكار و تشكيل اللجان الثورية و الفعاليات الحزبية و الكوادر الإعلامية و صندوق الدعم المالي و لجان جمع التبرعات .. و بعد كل هذا و ذاك .. تشكيل قيادة مركزية مؤقتة لقيادة الثورة و النضال ضد الفراغة .

فجأة و من دون سابق إنذار .. ظهر من بعيد .. من الأفق هدهد صغير يرفرف بجناحيه .. اقترب من الشجرة التي يأتم فيها المؤتمرون و صاح بهم قائلاً .. السيد رئيس المؤتمر .. السادة الحكماء الأفاضل .. حضرات الزملاء المحترمين .. يا رفاق الدرب الواحد .. إني أحطت بما لم تحيطوا به و جئتكم من الفراغة بنبأ يقين .. لقد اكتشفت اليوم أمراً خطيراً جداً .. أمراً لا يخطر ببال أحد منكم .. و لا يمكن أن يتخيله أحد من الحاضرين هنا .. و هو أمر اكتشفته و الله بالصدفة المحضة .

ساد جو من الصمت التام و السكينة المخيّمة ، على الأجواء .. و اتجهت الوجوه جميعاً إلى الهدهد اللاهث الذي قال .. أيها السادة الأجلاء المحترمين .. إن هذه الفراغة التي تتحدثون عنها ما هي إلا خشبة منصوبة جامدة .. مثلها كمثل تلكم الأغصان التي تقفون عليها الآن .. إنها خشبة يابسة مهترئة من

صنع الإنسان يضعها لكي يخيفكم بها فقط .. هي فقط مجرد أداة عاجزة لا حول لها و لا قوة .. تستخدم فقط لإخافتكم و ترويعكم و إخضاعكم و منعكم من تحصيل أرزاقكم و حقوقكم التي وهبتكم إياها الطبيعة .. إنها فقط مجرد واجهة يختبئ خلفها صانعها و يوهمكم أنها هي السبب في ما أنتم فيه الآن من خوف و رعب و اضطهاد .. و إن اسقطتموها الآن سيتم استبدالها على الفور بالعشرات مثلها .. و ذلك هيّن مستهان على من اصطنعها لكم .. و حتى أثبت لكم صدق كلامي هذا .. سأذهب من فوري و أمام ناظريكم و أريكم أن هذه الفزاعة ما هي إلا صنيعة مصطنعة .

قال الهدهد ذلك و طفق يجناحيه طائراً نحو الفزاعة المنصوبة قريباً من شجرة الجميز الضخمة ، ثم حط يجناحيه عليها و بدأ يقفز عليها من كل جانب و حدب و صوب .. بعدها قام بالتغوط عليها .. ثم ما لبث أن رفرف يجناحيه و عاد إلى شجرة الجميز حيث قوم الطير على رأسهم الطير من الدهشة و الاستغراب .

- هاا أيها الأحبة المكرمون .. ما قولكم الآن بعدما سمعتم الذي سمعتموه و شاهدتم الذي شاهدتموه ؟؟؟؟ . قال الهدهد و هو يلهث من التعب .

نظر الجميع بعضهم إلى بعض بدهشة و صمت و ذهول .. كذا الأمر كان زعيم الطيور يتبادل النظرات الصامتة و إشارات الدهشة و الذهول مع مجلس حكمائه التسعة .

فجأة علت الأصوات و الضجيج بين العصافير .. و الهتافات المطالبة بتغيير كافة الخطط و الهيكلية و إلغاء اللجان الفرعية و الكوادر و مجلس القيادة و كل شيء .. تمازجت معها أهازيج الفرح بالخلاص من وهم الفزاعة .

تشاور زعيم العصافير مع مجلس حكمائه التسعة لبرهة من الوقت ، ثم رفع جناحيه إشارة الصمت و السكوت قائلاً .. حسناً حسناً أيها الأحبة الكرام ..

سوف نتشاور نحن ومجلس الحكماء الموقرين في هذا الأمر .. و غداً صباحاً تسمعون الأخبار الطيبة .. و الآن .. أيتها الرعية الكرام .. فلينصرف كل منكم إلى عمله .

في اليوم التالي .. وُجِدَت جثة الهدهد ملقاة على قارعة الطريق .. دون أن يعي أحد ما حدث و كيف حصل .. ألقى زعيم العصافير كلمة عزاء و رثاء نحو الهدهد .. بينما انشغل مجلس الحكماء التسعة بالسواد .. و تقرر الاستمرار في مقاومة الفراعة و إسقاطها لأنه اتضح (حسب قول الزعيم و رأي مجلس الحكماء) أنها هي من اغتالت الهدهد و قتلته لأنه كشف أمرها .. و بالتالي الإبقاء على السياسة الراهنة و ما تم إقراره في جلسة الأمس .. إلى ما شاء الله .

نصيحة لطبيب نفساني

ما أن جاء مطلع الشهر .. حتى ذهب إلى البنك و توجه إلى كوة الصرافة لقبض معاش التقاعدي الشهري الحكومي .. و ما أن استلم المال و خرج من المصرف .. حتى توجه إلى المكتبة القريبة المجاورة للمصرف .. و هنالك اشترى المجلة الطبية النفسية الشهيرة الشهرية .. منذ سنين اعتاد على ذلك .. كان يحب قراءة تلك المجلة خصيصاً .. و بالذات بعد أن أُحيل على التقاعد حيث شبح الملل و الضجر يخيم على الأجواء و لا بد من محاربته بشيء من الواجبات الاجتماعية و القراءة .. و صودف أن وقعت بيده تلك المجلة عندما كان في أحد صالونات الحلاقة ينتظر دوره لقص شعره .. قرأها وقتئذٍ فأُعجبَ بها أيما إعجاب .. و مذ ذلك اليوم أصبح يترقب صدورها الشهري بفارغ الصبر .

أكثر ما كان يستهويه فيها .. هو الزاوية النفسية التي يكتبها طبيب نفساني مشهور تمام الشهرة و خبير كل الخبرة في علم النفس و تفرعاته وما يتبع له .. كانت مقالاته حول الأمراض النفسية للإنسان .. آخرها كان عن مرض البارانويا و تأثيره على الفرد المصاب به و ما هي أعراضه و عوامل ظهوره و مقوماته .. مع شرح مسهب جميل ممتع عن تصرفات الفرد المصاب به و كيفية التعامل الواجب معه من قبل الأشخاص .. ثم في نهاية المقال شرح لكيفية

الوقاية منه و ما هي الأدوية التي يجب استخدامها و آثارها و مفاعيلها و محاذيرها .. الخ .

عندما ينتهي من قراءة المجلة الطبية تلك كان يشعر بمتعة و فائدة كبيرين .. فيتجه إلى الجرائد و الصحف اليومية الأخرى و يطالع محتوياتها .. و هنا كان يصاب باكتئاب و حزن شديدين بسبب الأخبار الكئيبة المحزنة المخربة التي كان يقرأها .. أعمال عنف .. تدمير و حرق .. سرقة و نهب .. فساد منتظم منظَّم ممنهَج .. حروب و مشاكل اجتماعية كثيرة .. جهل .. أمية .. يشعر بيأس و كآبة شديدين فيتجه من فوره إلى التلفاز ليشاهد بعض القنوات الفضائية علّه يروّح عن نفسه قليلاً .. لكنه ما يلبث أن يُصدَم بالمشاهد المروّعة المرعبة و الأخبار المثيرة للقرف و الخزي و العار .. حروب طائفية و مذهبية ترافقها مجازر قتل و إبادة .. أخبار الفساد و السرقة و النهب .. شتائم طائفية و مذهبية و سياسية .. برامج مخصصة للهجوم على الآخر من الطائفة الأخرى و المذهب الآخر و سبه و شتمه و التحريض على قتله و الاقتتال معه .

مزيج المتعة و السعادة و الفائدة مع الحزن و الكآبة و الخوف و القرف .. كان ينتابه دائماً كلما قرأ المجلة الطبية تلك ثم قرأ و استمع و شاهد بقية الوسائط الإعلامية الأخرى .

الشهر السابق .. كان الطبيب النفساني يعالج موضوع الوسواس القهري عند الشخص و عن ملابساته و أعراضه و عوامله و مقوماته .. و شرح أنواعه و أصنافه و الفئات التي يمكن أن تصاب بكل واحد من تلكم الأنواع .. و الظروف المحيطة به .. و كيفية معالجته و تجنبه و التقليل من أعراضه و مسبباته .. و الأدوية المناسبة له .. و كيف يمكن للشخص أن يتجنب الإصابة بها و ما هي الأدوية التي يجب أن يتعاطاها لأجل ذلك و كيفية العلاج الأمثل لكل نوع منها من قبل الشخص المصاب .

بعد الانتهاء من الدورية الطبية .. اتجه إلى الجرائد و الصحف اليومية .. لكنه ما أن فتحها و بدأ القراءة فيها حتى رماها من يده بقرف و ضيق و كآبة .. فاتجه من فوره إلى التلفاز و قام باستعراض القنوات الفضائية .. لكنه لم يكد يفعل ذلك حتى شعر بضيق شديد يعتصره .. و ألم نفسي يجتاحه من مشاهد القتل و السرقة و التخريب و السباب و الشتائم و التكفير و الفساد و الخراب .. و كلّ يدعي وصلاً بليلى الشريفة الفاضلة العالمة.. و ليلى الشريفة الفاضلة العالمة لا تقرّ لهم بذاكا .

في هذا الشهر .. كان الطبيب النفساني يتحدث هذه المرة عن الفوبيا لدى الفرد و خصائصها و أعراضها و مسبباتها و عواملها عند الشخص المصاب بها .. و يشرح أنواعها و أعراض الشخص المصاب بها و كيف يتصرف و يتعامل مع الوسط المحيط به .. . مع ذكر بعض الأدوية و آثارها و مفاعيلها و محاذيرها .

بعد ذلك قام بمطالعة الصحف و الجرائد اليومية .. فانتابته الحالة النفسية المذكورة إياها .. اتجه صوب التلفاز و القنوات الفضائية علّه يجد ضالته من شيء من مرح و فرح و تسلية و حبور .. لكنه فوجئ بما جعله أتعس التعساء .. قتل و فساد و خراب و همجية و جهل و أمية تملأ المجتمع و تطغى على الناس و البشر .

تكررت هذه الحالة في الشهر الذي تلاه و الذي تلاه و كذا الذي جاء بعده .. شرح عن حالة نفسية يصاب بها الفرد في المجتمع .. فوبيا .. عصاب .. انفصام شخصية .. بارانويا .. وسواس قهري .. كذا .. كذا .. الخ . كله متلازم مع الفساد الاجتماعي و الحكومي و الإداري مع الفسق العام و الفجور و القتل و المذابح و الخراب و الجهل و الأمية .

أطفأ التلفاز و قد انتابته حالة نفسية شديدة من التوتر و التعب و الإرهاق الذهني و العاطفي .. فكر كثيراً .. فكر ثم فكر .. أخيراً و في نهاية المطاف .. بيّتَ أمراً في نفسه .

في صباح اليوم التالي .. استيقظ متأخراً بعد الشيء .. اغتسل بهدوء و حلق ذقنه ثم تناول طعام الإفطار .. بعدها ارتدى ثيابه وخرج من المنزل .. نزل السلالم بهدوء يفكر بصمت أو لا يفكر .. لكنه بالأحوال كافة كان شارد الذهن ثابت العينين ..

استقل سيارة تاكسي و ذهب إلى مديرية الصحة .. هناك طلب عنوان عيادة الطبيب النفساني و من ثم ذهب إلى هناك .

- أهلاً سيدي .. هل أنت مريض ؟؟ . (سألت الممرضة) .

- كلا و لكن أريد أن أقابل الطبيب إذا سمحت لأجل طلب منه .

- لكن الطبيب لا يقابل إلا المرضى في العيادة هنا .. و غير ذلك ، يمكنك إرسال رسالة إلى عنوان بريده أو المجلة التي يكتب فيها .

- حسناً .. حسناً .. ربما أنا مريض .. ربما كنت مريض و لا أشعر بذلك .. دعيني الآن أقابل الطبيب لو سمحت .

- عليك إذن أن تملأ هذه الاستمارة عنك و تدفع سلفة نقدية .. حتى يمكنك مقابلة الطبيب .

ملأ الرجل استمارة طويلة من المعلومات عنه .. و دفع سلفة نقدية محترمة .. بعدها دخلت الممرضة إلى غرفة الطبيب ثم خرجت منها بعد هنيهة قائلة .. تفضل سيدي .. الطبيب بانتظارك .

دخل الرجل إلى غرفة الطبيب الذي استقبله ببشاشة و ترحاب ظاهرين .. طلب منه الجلوس و قال له .. حسناً يا سيدي .. ما هي مشكلتك النفسية بالضبط ؟؟ .

نظر الرجل إلى الطبيب بهدوء و قال له .. في الواقع أيها الطبيب لقد جئت إلى هنا فقط لأقول لك كلمة واحدة .

- ما هي يا سيدي ؟؟؟!!! .

- بدلاً من أن تعالج مشكلتي النفسية يا دكتور و تكتب عن مشاكل الفرد النفسية .. أنصحك بأن تعالج مشاكل المجتمع النفسية و أن تكتب عن أمراض المجتمع لا الأفراد .. تحياتي لك .. و أنا آسف على إضاعة وقتك الثمين .

قال الرجل ذلك ثم نهض بهدوء من مكانه و خرج .

صاحب الدنيا

أصحاب الدنيا ؟؟ و ما أدراك ما أصحاب الدنيا ؟؟ إنها كلمة ثقيلة و ربي .. و لها آثار و عواقب جمّة .. أصحاب الدنيا هم الذين ركنوا قليلاً من متاع الدنيا الزائل الغرور .. لكنهم خسروا أنفسهم دنيا و آخرة .. هم قد تمتعوا بمفاتن ومباهج زائلة من دنيا غرّارة فتّانة .. لكنهم بعد ذلك سيُحرَمون من الفردوس الأبدي في السماء .

هذه العبارات و ما شابهها .. كان يسمعها مرارا و تكراراً في الحلقات والندوات و البرامج الدينية .. و يقرأ عنها و عن مثيلاتها و مشتقاتها و ما يتأتّى منها و عنها .. في الكتب و الدوريات الدينية الاجتماعية و تلكم ذات الوعظ الأخلاقي و الروحاني .

و لكن كالعادة .. عادة بعض الخطباء و الكتّاب و الوعّاظ ذوي الأهواء و الطباع والمعادن المتغيّرة .. و الجلود المتلونة .. الذين لا يُعرف لهم سأس من رأس .. و لا ظهرٌ من جذع .. لا يبتّون بمسألة حساسة جوهرية و لا يفتون .. يتركونها معلّقة مطلّقة .. غامضة مبهمة .. لا يُمسك منها إلا لباب القشور فقط .. أما بواطنها و مُدركاتها و خصوصيات معانيها .. فهي بعيدة عن كلامهم و منطوق ألسنتهم وشفاههم .

حاول في قرارة نفسه أن يكتشف معنى صاحب الدنيا .. بمعنى أن هل هو من أصحابها أم لا ؟؟ .. كونه كان حريصاً أشد الحرص على معرفة جوهر حق ذاك .. لقد استهواه المعنى و نبْذُ الكلام .. فأحبَّ الاستفاضة و إبانة المرام عن المقصود مما يقوله الأنام .. و لذلك فزع في ذاته ونفسه ، إلى أولي الخبرة و الاختصاص من أهل البلاغة و الكلام يسألهم عما إذا كان هو من أصحاب الدنيا .. لكنه لم يتحصل إلا على زخارف مدبّجة منمّقة من قشور كلام و طنافس حشوٍ و بيانْ .

أحدهم قال له .. أصحاب الدنيا هم الطماعون الجشعون الذين يعيشون فقط لأجل الدنيا و ملذاتها و غرورها و يطلبونها بإلحاح و نَهَمٍ شديدين .. لا يرعوون عنها و لا يرعون لغيرهم فيها حقاً و مؤلاً .. و لذلك فإن .... .

(رد عليه مقاطعاً) .. و لكن يا شيخ ما عن هذا سألتك .

- إذاً .. عمّاذا سألتني ؟؟؟!!! .

- أريد شيئاً غير هذا يا شيخ .. أريد شيئاً يعبئ الرأس و يشفي عليل المعرفة و يروي ظمأ المستفهِم .

- يا ولدي لقد شرحت لك من هم أصحاب الدنيا .. فانظر ذلك في نفسك و قارن به مقلّباً جوانبه متدبّراً وجوهه .. ترَ مقصود ما ترنو إليه و تصبو .. عافانا الله و إياك من الدنيا!!!!! و شرررررر الدنيا!!!!!! .

خبير منابر آخر أجابه عندما سأله عمّا إذا كان من أصحاب الدنيا .. أصحاب الدنيا يا ولدي .. هم الذين يطلبونها عمّا سواها من مطالب أخرى .. فترى همّهم المال فقط .. فقط المال و لا شيء سواه .. يصرفون جلّ غاياتهم لأجله

استحصاله و التحصّل عليه .. و يجعلونه همّهم و غاية آمالهم و منالهم .. فينصرفون إليه بقلوبهم و مُهَجِهم .. و لزاااااااااااك ....

- (مقاطعاً) يااااااا شيخ .. أنا ما سألتك عن هذا .. و لا هذا مرامي و غرضي .

- إذاً ما هو مرادك و مطلوبك أيها الفتى الأغر ؟؟؟!!! .

- مرادي يا حبيبي و يا بصبوص عيني و مهجة قلبي .. أنني أريد شيء يعبئ لي مخي و يُسْكر لي دماغي من المعنى اللبيب و الإيضاح القاطع الساطع الذي ....

- الذي ماذا يا روح أمك ؟؟؟!!!! عمي ... هذا ما عندي من إيضاح .. و أكثر من هكذا إيضاح يفلق الألباب و يفتق العقول .. لا يوجد يا فالح .. انظر أنت في ما قلته أنا لك و انظر إلى نفسك و تصرفاتك ثم قارن و اعرف إذا ما كنتَ من أصحاب الدنيا .

شكّل هذا الأمر معضلة لديه .. سأل و سأل العديد من أكاهابذة المتدينين و الاجتماعيين و الفلاسفة المتفذلكين .. و المناطقة المتحذلقين .. لكنه كان يصطدم بالديباجة المزخرفة المنمّقة إياها .

ذات يوم سار في أرقى أحياء المدينة حيث كان يظن أن أصحاب الدنيا متمركزون هنا .. فجأة رأى شحاذ حليق الرأس متسخ الجسد ممزق الثياب .. تبدو عليه إمارات البلة و العته .. مطأطئ الرأس مكسور الخاطر تهطل الدموع من عينيه بصمت .

راعه المنظر .. فاقترب منه بهدوء وتوجس .. نظر إلى وجهه الحزين الصامت و سأله .. هل أنت بحاجة إلى المال ؟؟؟!!! .

أجاب الشحاذ بصوت خافت .. كلا يا سيدي .. إنني بحاجة إلى الطعام .. أريد سندويشة أسدُّ بها جوعي في هذا البرد القارس .

- و لماذا لا تأخذ المال و تشتري به الساندويشة التي تريد ؟؟؟!!!

انهمرت دموع الشحاذ البائس بغزارة هذه المرة و قال بغصة ممزوجة بحرقة و ألم .. لأنهم يقولون أنني مجنون و أنه لا يجب أن يكون معي مال نظراً لسفاهتي المستدامة .

- حسناً .. حسناً .. لا بأس عليك يا صديقي البائس .. تعال معي و أنا سأشتري لك الساندويشة التي تريد .. هذه هي حال الدنيا .. آآه صحيح تذكرت .. بمناسبة الدنيا و حالها .. قل لي يا صديقي .. كيف أعرف نفسي إذا كنت من أصحاب الدنيا (يقهقه ضاحكاً و يتابع) .. لا تجيبني .. لا تجيبني .. انا أمزح معك يا صديقي البائس .. أعرف أنه لا يوجد لديك جواب .

وقف الشحاذ المجنون فجأة و نظر إليه بصمت مطول ثم قال له .. إذا مرضتَ و لم يزرك أحد .. و وقعت و لم يُعِنكَ أحد .. و كنتَ عُرضةً للامتهان من أي أحد .. و توفي لك من يخصك و لم يلاحظك أحد .. و توفيت أنت ذات نفسك و لم يشيعك أحد .. فأنت حتماً لست من أصحابها .

ملاط مبهم

تموضع الراهب المتنسّك في مكانه المعتاد .. جالساً متربّعاً متاملاً هدوء المكان و سكينة الغاب بطمأنينة و راحة .. ذلك كان بمحاذاة باب المعبد المنعزل في براري و قفار إحدى الغابات الجبلية الضخمة الشاسعة الأبعاد المترامية الأطراف من كل حدب و صوب .

هو خادم المعبد و كاهنه في الوقت نفسه .. ذاك المعبد الذي اجتذب السياح و الزوار من مختلف الأصقاع .. و محبي المغامرة و الغموض و الآثار الدينية .. لمشاهدة روعة المكان و سحره و غموض تجلياته و تفاصيله و مظاهره .. بعضهم الاخر جاء لممارسة شيء من طقوس اليوغا و التأمل الروحاني و ممارسة بعض تمارين رياضة النفس و ترويضها .

بمحاذاة الراهب الخادم .. انتصب تمثال حجري ضخم لا وجه له و لا لون و لا رائحة و لا شكل .. عبارة عن كتلة ملاطية صخرية لكن بها آثار و ملامح من شيء ما .. كائن ما و مخلوق معيَّن .

من بين المتوافدين و الزوار وقف أحد السواح الأجانب يراقب المكان عن كثب و قد أُخِذَ بروعته و جماليته و مسحة الروحانية الخاصة التي سادت عليه .

زوار المعبد يمرون بهدوء و يلقون التحية باحترام على الكاهن .. بعضهم يدلف إلى الداخل و بعضهم الاخر يلفت نظره ذاك التمثال الملاطي المطموس المعالم .. مجهولها .. يقف و يسأل الراهب بأدب عن هذا التمثال و ما هو بالضبط .. فينظر الراهب إلى السائل نظرة تأمل ثم يجيبه فيقول له .. هذا تمثال عنزة .

شخص آخر سأل الراهب .. أيها المحترم المبجل .. ما هو هذا التمثال ؟؟؟!!!

ينظر إليه الراهب لبرهة بعمق ثم يقول .. هذا تمثال فارس مقاتل .

زائر آخر وقف أمام الملاط متأملاً مستفسراً محاولاً معرفة كنهه .. دار حوله فاحصاً مستعبراً .. لكنه ما وصل إلى نتيجة و لا اهتدى إلى حل .. استدار إلى الراهب الغارق بصمته المطبق .. المنكّس رأسه إلى الأرض .. سأله بأدب جمّ .. أيها الراهب الوقور .. ما هذا التمثال الماثل هاهنا أمامنا ؟؟؟!!! .

يرفع الراهب رأسه ببطء و هدوء شديدين و ينظر إلى السائل لبرهة ثم يقول .. هذا تمثال تنّين مجنّح .

آخر و آخر .. يسألون و يتساءلون .. و الراهب يجيب كلّ على حدة بجواب مختلف الأشكال و المعاني .. هذا بقرة .. هذا نسر .. هذا تمثال امرأة .. هذا كذا .. كذا .. كذا مختلف ألوانه .

كان ذاك السائح يراقب كل هذا المشهد مستغرباً متعجباً أشدّ العجب مما يرى و يسمع .. لم يسعه فضوله و إصراره على كشف المستور ، إلا ان يذهب إلى الراهب ويسأله بعجب .. أيها الراهب الوقور .. منذ مدة و أنا أراقبك كيف تجيب من يسألونك عن هذا التمثال الصخري .. بأجوبة مختلفة ألوانها سائغ قبولها لدى هؤلاء .. و قد تعجبتُ لما تفعل ذلك و لما لا تقول لهم الحقيقة .. حقيقة هذا التمثال ؟؟؟!!! .

نظر إليه الراهب و قال .. أنا أيضاً أتعجب من سؤالك !!!! .

- و لِما أيها الراهب ؟؟؟!!! .

- لأن الأحرى أن يكون عجبُك منهم لا مني !!!!! .

- بل منك أيها الراهب !!!! .

- و لِما ؟؟؟!!!! .

- لأنه من الواضح أنهم سيقبلون أية إجابة ..كون هذا التمثال غامض المظهر مبهم الملامح .. و لذلك تراهم يقبلون الجواب أياً كان .. لماذا لا تقول لهم إجابة واحدة بدلاً من قول اجوبة مختلفة وأنت الراهب الذي يُفترَض به صدق القول و أمانة الجواب ؟؟؟!!! .

لأول مرة .. ابتسم الراهب و قال .. حسناً يا سيدي .. ما رأيك أن تحل مكاني و تجيب أنت عن السؤال بنفسك و تعبّر عما تراه أنت في دواخلك عن هذا التمثال .. لتدرك الحقيقة أيضاً بنفسك ؟؟ .

- حسناً أيها الراهب .. سأفعل ذلك .

بعد قليل اقترب شخص من المكان .. وقف أمام التمثال متأملاً ثم توجه بالسؤال إلى الراهب عن هوية التمثال .. فأشار الراهب إلى الرجل أن يجيب .

نظر الرجل إلى التمثال ثم قال للسائل .. هذا تمثال عنزة . و ما أن قال عبارته تلك حتى انفجر السائل بالضحك و قال .. ما هذا الذي تقوله ؟؟ أين هي العنزة من هذا التمثال .. هل أنت أعمى يا رجل ؟؟!! لا لا .. هذا ليس تمثال عنزة .. قل شيئاً آخر .

بعدها بفترة وجيزة جاء زائر آخر وقف بدوره أمام التمثال و تفحصه قائلاً .. ما هذا التمثال أيها السادة الكرام ؟؟!!

بدوره أومأ الراهب للرجل بالإجابة .. نظر الرجل إلى السائل و قال .. هذا تمثال فارس .

استنكر السائل كلام الرجل و صاح باستهجان .. لا لا .. هذا ليس تمثال فارس .. قل شيئاً آخر يا رجل .

بعدها جار زائر و بعده زائر و بعده زائر .. و الموقف نفسه يتكرر مع كل واحد منهم .. الاستهجان و الاستنكار لإجابة الرجل المغلوطة عن التمثال .

أخيراً و بعد لأي نظر الرجل إلى الراهب و قال ببأس المستسلم .. أنا آسف يا سيدي .. و لكن هلا شرحت لي من فضلك ذلك ؟؟ .. فقد استعصى عليّ الفهم ؟؟ .

ابتسم الراهب المتنسّك و قال بهدوء .. أنا أيها السيد كنت أعطي كل سائل الجواب الذي يراه .. و على مقدار عقله و نظرته هو لهذا التمثال و لو إني أجبت الشخص بغير ما هو يراه لَسبّني و شتمني و سفّهني . و أنا أعلم أنك لن يقتنع بالنهاية إلا بما يراه .. أما كيف أعرف ما يريد ؟؟ فهي فراسة وهبني إياها الله و اكتسبتها مع السنين .. أحياناً يا سيد .. من الحكمة أن تعطي الشخص الجواب الذي يريده هو لا الذي تريده أنت .

وقف الرجل بصمت يفكر ثم قال .. عندي سؤال واحد أيها الراهب المحترم .. ما هو هذا التمثال بالضبط طالما وصلت الأمور لهذا الموصول .

ابتسم الراهب المتعبد و قال .. هذا يا سيدي صخرة موجودة هنا أمام المعبد منذ آلاف السنين و قد فعلت بها عوامل الزمن و الريح و الطبيعة و الشمس و البرد

فعلها .. إنها لا شيء .. إنها صخرة نحتتها الطبيعة وصقلتها بالعفوية و اللاشكل و اللاشيء .. و منذ وجودي هنا في هذا المكان المنعزل عن العالم .. و الناس تتساءل عنها و عن حقيقتها و من نحتها ؟؟ و ماذا تمثل ؟؟ و ما هي طبيعتها بالضبط ؟؟ و الكل يأخذ أجوبة الشافي الذي يناسب سريرته و بواطن نفسه الداخلية .

رئيس الأشرار

في خرابة مهجورة منعزلة في أعالي الجبال البعيدة النائية .. اجتمع مجلس الأشرار الذي كان ينعقد كل سنوات ثلاث في هذه المنطقة المهجورة ليلاً و عند اكتمال القمر .

المؤتمرون الأشرار هؤلاء .. عقدوا مؤتمرهم هذا لأجل انتخاب رئيس جديد لهم أو لأجل تثبيت القديم في مكانه إذا ما كان قد أبلى بلاء حسناً في الشر و الخراب و الفساد و الإفساد .. و لم يسبقه إلى ذلك نظير له أو ندّ يبلغ ما بلغه من قباحة و سوأة فعل خلال تلكم السنوات الثلاث المنصرمة .

في المؤتمر يقوم المؤتمرون .. بترشيح المندوبين و المرشحين لشغل منصب رئيس الأشرار ذاك .. حيث يقوم كل واحد منهم بذكر مرشحه ضمن اقتراع سري .. و بعد ذلك يقوم المرشحون .. كلّ منهم بتلاوة بيان مؤهلاته و صفاته القبيحة الشريرة حيث يتم انتخاب أفضلهم شراً و أكثرهم قباحة و رجساً و نجاسة كرئيس مجلس الأشرار لمدة ثلاث سنوات مقبلة يحق له الترشح من جديد بعدها .

بدأ الأعضاء الحضور جلسة الاقتراع السري لانتخاب المرشحين للرئاسة .. بعدها تلا رئيس المؤتمر أسماء المرشحين الناجحين .. بعد ذلك .. بدأت مباشرة جلسة تعداد مواهب الخير و خصال السوء من قبل المرشحين .

ابتدأ المرشح الأول منهم القول .. سيداتي سادتي الأشرار الموقرون .. أنا شرير جداً و سيء لأبعد درجات السوء .. أنا كذاب بطبعي .. و الكذب كما تعلمون هو من أسوا درجات العيوب .. أنا أخفي الحقيقة عن الناس و أعطيهم الوهم و الأخبار المغلوطة .. و كما تعلمون .. فإن هذا يؤدي إلى إلحاق الضرر بالناس و المجتمع ككل .. و الميزة التي أتمتع بها في هذا الشأن ، هي أنني لا أستطيع التوقف عن الكذب .. و إذا فعلت ذلك ليوم أو يومين .. أموت .. و لا أُوفر أحد في كذبي هذا .. أجميع يطالهم كذبي و دجلي .. شكراً لحسن استماعكم .

صعد المرشح الثاني المنبر و ابتدأ الكلام قائلاً .. سيداتي سادتي أصحاب معالي السوء و فخامة الشر .. أشكركم جزيل الشكر على ترشيحي لهذا المنصب الهام الجلل .. و يسعدني أن أخبركم أنني مشهور مشتهر بالسرقة طوال حياتي .. مذ يفاعتي و إلى يومي هذا و أنا قائم السرقة محترفها .. و أول عملية سرقة قمت بها .. عندما كنت رضيعاً أرضع من ثديي أمي .. حيث قمت بسرقة قطعة ذهبية من صدرها و وضعتها في جيبي بينما كانت ترضعني .. و من يومها كرّت معي السبحة و بدأتُ أطوّر تقنياتي في السرقة و النهب وصلت أخيراً إلى أن أضع مناهج علمية لذلك .. و أحيطكم علماً أنني لا أوفر أحد في سرقاتي .. كما أحيطكم علماً أنني لا أستطيع الكف عن حرفة السرقة هذه .. و إن فعلت ذلك في يوم من الأيام .. أموت .. شكراً لحسن إصغائكم و السلام .

امتطى المنبر مرشح جديد آخر و شرع بالكلام من فوره .. إخواني الأشرار .. أحبتي القذرون .. أود في هذه المناسبة السعيدة أن اعطيكم لمحة مختصرة عن حياتي و طفولتي .. وُلدتُ و ترعرعت في بيئة قذرة داعرة و أسرة تمتهن الدعارة و الفسق و الفجور ضمن سلالة عريقة في هذا المضمار .. مضمار الرذيلة و إشاعتها في المجتمع .. و لي باع طويل في هذا و أنا الذي أقف أمامكم الآن .. ابن حرام و لا أعرف من هو أبي.. ليس هذا فقط .. فأنا أيضاً من محاربي الفضيلة و الأخلاق

و مشتقاتهما و أصد عنهما صداً .. و أعدكم إخواني الحضور بأنه إذا ما تم انتخابي و اختياري لهذا المنصب .. بأنني سأكون شر خلف لشر سلف .. أشكركم كثير الشكر على حسن إصغائكم .

جاءت الكلمة بعده لمرشح الجهل و التخلف الذي ألقى خطبة رنانة .. و مما جاء فيها .. أنا الجاهل الأبتر .. أنا المتخلف الأغر .. أنا معلم الجهل و ناشره .. أنا أبو التخلف و راعيه .. أنا محارب العلم و الثقافة و المعرفة أينما كانا و أينما وُجِدا .. أنا الذي يخاف العلماء و المفكرون من بأسي .. و مما لا يخفى عليكم سيداتي و سادتي .. ما للجهل و التخلف من أثر كبير في تدمير الإنسان و المجتمع و الدولة .. وتبعاً لذلك .. و بناء عليه و عليه بناء .. فإنني في حال انتخابكم لي كرئيس للأشرار .. أعدكم بشرفي .. عفواً آسف .. أنا ليس لي شرف (يقهقه ضاحكاً) .. أعدكم بنذالتي .. أن أكون عند حسن ظنكم بي .. دمتم و دام شرّنا و شكراً لحسن إصغائكم .

تلا أخو الجهل و الجهالة .. مرشح النفاق الذي انبرى بمرافعة تاريخية يشرح للنفاق و آثاره و نتائجه الكارثية التدميرية على الأفراد و الشعوب و المجتمعات .. وشرْحٌ لأهم الأحداث التاريخية الجسيمة الوخيمة التي أدت إلى انعكاسات رهيبة في تاريخ البشرية والتي كان النفاق أحد أسبابها .. ثم ما لبث أن انبرى يعدد أثر الفرد المنافق في الدولة و المجتمع .. طالباً في نهاية كلمته من الحضور انتخابه .

جاء بعده صاحب الخبث و الخبائث شارحاً أهميتها و أثرها الفعّال في التخريب و الشر .

بعده جاء صاحب الأذى و الإجرام معدداً مزاياه الإجراميه في المجتمع و أثره و آثاره في الحروب الأهليه و نتائج أفعاله و خصالها الماديه و المعنويه و آثارها النفسيه .

نهايه المطاف جاء دور آخر المرشحين .. كان يرتدي بذله رسميه فخمه و متعطر بأطيب العطور .. بوجه بشوش تبدو عليه الطيبه و الوسامه حتى بدا الشك على بعض الحضور أن يكون هذا من الأشرار .. صعد بأدب جم إلى المنبر و قال .. سيداتي سادتي الأشرار .. أشكر كل زملائي المرشحين الذين سبقوني بالكلام و يسعدني أن أقدم لكم ميزتي في الشر و أظنها ذات بأس شديد .. ميزتي أيها السادة هي الفساد .. أنا الفاسد .. أنا أبو الفساد .. الفساد و ما أدراكم ما الفساد .. الفساد أيها السادة هو كل المزايا و العيوب التي تكلم و اتصف بها زملائي السابقين .. أنا أيها السادة كل هؤلاء .. انا الذي أغطي على كل هؤلاء و اتصف بصفاتهم جميعاً .. شكراً لحسن إصغائكم .

بعد انتهاء المرشحين .. انعقدت جلسة للمداولة و التداول استمرت لبعض الوقت .. جرى فيها نقاش بين الأعضاء و حوارات وتبادل الآراء .. و في نهايه الجلسة خرج رئيس المؤتمر و تلا نتائج جلسة التداول قائلاً .. بعد التداول و التشاور بين أعضاء المؤتمر و المرشحين .. تقرر بالإجماع انتخاب الفاسد .. فهو الشخص الأكثر قدرة و درايه و ملائمة و خبرة للرئاسة الأشرار .. دمتم و دام الشر .. عشتم و عاش الشر .

حي من ميت
ميت من حي

جلس السلطان متربعاً على تخته يستمع إلى تلاوة مباركة من الذكر الحكيم .. كتاب الله الذي لا ريب فيه .. و حوله الوزراء و الأعيان و وجهاء الأحياء و البلدات .. كانت تلك مناسبة آخر يوم للصيام من شهر رمضان و قد أفطر الجميع إفطاراً عميماً شهياً يُراقُ له لعاب العطشان الجاف في صحراء يبس و يباب .

وصل القارئ في تلاوته إلى الآية التي تقول { يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي } ثم تابع التلاوة لبرهة ثم توقف منهياً التلاوة .. ليبدأ القوم وعليّتهم بتناول طعام الإفطار .

بعد الإفطار سأل السلطان الحاضرين .. ما معنى الآية التي تقول { يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي } ؟؟!! .. انبرى بعض الحاضرين من فقهاء القوم و مشايخهم بتقديم التفاسير و التآويل .. كلٌ حسب معرفته و درايته .. ذاك يقول كذا .. و آخر كذا .. و غيره هكذا .. لكن ذلك كله لم يقنع السلطان تمام الإقناع .. كانت كلها أقوال متباينة متضاربة أحياناً في بعض منها .. تأخذ جانب الظن في بعضها الآخر .

نظر السلطان إلى قاضي القضاة وقال .. و أنت يا قاضي قضاتنا المبجل .. ما قولك في هذا ؟؟ .

قال قاضي القضاة .. هذا يا مولانا تعبير عن قدرة الله عز و جل التي لا يحدها شيء من خلقه و أنه على كل شيء قدير .

أجاب السلطان بعد تفكير .. أعلم ذلك أيها القاضي .. أعلم أن قدرة الله فوق كل شيء و أنه على كل شيء قدير .. و لكن أريد جواباً شارحاً موضحاً .

عدّل قاضي القضاة من طنفسته الضخمة الموضوعة على رأسه علامة القضاء و الفتيا ثم قال .. هنالك أمثلة عدة يا مولاي .. منها مثلاً الإنسان الذي يكون نطفة ثم يخرج من بطن أمه بشراً سوياً .. كذا الحَب و البذار يكون لا حياة فيه ثم يخرج بعد زرعته و تعهده بالسقاية .. نباتاً مثمراً .. و كذا الأمر بقية البهائم و الطيور .. فسبحان الله .

تململ السلطان في جلسته و قال .. أعلم ذلك أيها القاضي .. هذه أمور كلها يعلمها بنو البشر .. صبيانهم قبل رجالهم .. لا جرم في ذلك .. لكن من الواضح أن الله عز و جل يقصد أمراً آخر غير ذلك .. حتى و لو كان ذلك هو المقصود .. أمراً يريده خيراً للناس و بلاغاً و بياناً لهم .. فما هو هذا الشيء ؟؟ و من منكم يستطيع إظهاره لي و للناس كي يكون لنا عبرة و موعظة في ذلك ؟؟ .

صمت قاضي القضاة و معه جمهور الحضور جميعاً .. فصاح السلطان صيحة أرعبت من كان في المجلس جميعاً .. أليس فيكم أحد يريني هذا الكلام عياناً و موعظة و حكماً بليغاً ؟؟ تالله لأن لم تفعلن ذلك لأضربن أعناقكم أجمعين .

صاح قاضي القضاة .. أمهلنا يا مولاي أيام ثلاث كي نتدبر أمورنا .. فهذا أمر جلل و يحتاج إلى مشورة و تدبير و استيضاح و تبيين .. و أنا لك من بعد ذلك ضامن أمين .

نظر السلطان إلى القاضي بعينين كالصقر و قال .. حسناً أيها القاضي أمهلك أنت و رهطك أيام ثلاث فإن لم تأتيني بعدها ببينة جلية تكون لنا و للناس موعظة حسنة و عبرة .. أقتلك .

خرج القاضي صباح اليوم التالي مبكراً يبحث عمن يعينه في ذلك و هو يقول في نفسه .. إن هذا يوم عصيب .. و ربي إن هذا لهو البلاء المبين . ثم دار على كل معارفه من رجال الدين و الحكماء و الفقهاء و لكن كلهم قد أعطوا أجوبة مشابهة و اختاروا فيما تكونه تلكم العبرة و الموعظة الحسنة في أمر كهذا .. منهم من أمره أن يحتسب أمره إلى الله سبحانه و تعالى في هذه المصيبة الكبرى .. و منهم من نصحه بعدم اليأس .. لكن شيخ ضرير طاعن بالسن نصحه في اليوم الثالث و الأخير بالبحث و التقصي خارج تلك الدائرة و أن ينزل إلى الأسواق و يخرج إلى البراري و يلتقي عوام الناس و بسطاءهم علّ الله يفتح له في ذلك و يجعل له مخرجاً .. فامتثل الرجل النصيحة و نزل إلى تلك الأماكن وهو يتحسس رقبته خوفاً و رعباً .

ظل هكذا هائماً على وجهه يسأل و يلتقي الناس ويسأل لا يلوي الجواب الشافي .. حتى وجد نفسه في البرية خارج المدينة مشرفاً على كوخ من طين متهالك الهيكل .. هم بالرجوع لكنه لم يدرِ ما آثر التقدم و الدخول .. في جوار الكوخ رأى رجل عجوز رث الثياب يرقع ثوب له و بجانبه امرأة عجوز تليها شاة ترعى .. كان المنظر يثير الشفقة .. فكر مرة أخرى بالرجوع و قد أصابه يأس شديد و شبه يقين بالهلاك لفشله .. لكن العطش كان قد أصاب منه بأساً شديداً فاضطر للدخول .. ألقى السلام فرد العجوز عليه بمثله و أحسن قيلاً .. طلب القاضي

كأس ماء .. فأُتيَ له به بارداً مثلوجاً ثم قام العجوز إلى شاته فاحتلبها و قدم له فضلة لبن منها .. شرب القاضي اللبن و راعه حلاوة طعمه و لذته .

نظر إليه العجوز و سأله .. ما حَرَفَ بك إلى هاهنا أيها الضيف ؟؟!!

رد القاضي كنت ماراً بالصدفة هاهنا و أصابني العطش في بدني فدخلت إليكم .

تأمله العجوز ملياً و قال .. مثلك لا يأتي بالصدفة إلى هاهنا وحيداً خالياً !! فهات غير ما ذكرت أيها الضيف .

بهت القاضي مما سمع و قال .. و ما أدراك بقولك أيها الرجل ؟؟!! .

رد العجوز .. من طنفستك التي تضعها على رأسك .. و ثيابك التي تستر بدنك .. هيئتك هيئة فتيا و قضاء و فصل كلام .

تنهد القاضي بأسى و قال .. أنا قاضي القضاة أيها العجوز .. أما لِمَ أنا هنا .. فهذه قصة لا أظن لك باع فيها و لا حيلة و لا يد .. و لا أريدك تتعب نفسك فيما لا يمكن لك أن تكون فيه .

رد العجوز باقتضاب .. كما تشاء و لكن ربما يضع الله مواضعه حيث لا يحتسب عباده .

راعت هذه العبارة قاضي القضاة فتوقف عندها مطولاً ثم نظر إلى العجوز وقال .. حسناً أيها العجوز .. لقد توسمت فيك خيراً .. من مثلوج ماءك و طراوة لبنك و بليغ كلامك .. فهاكم قصتي اسمعوها و عوها .

روى قاضي القضاة قصته للعجوز من بابها إلى محرابها و انتهى بها قائلاً .. و غداً أيها العجوز يوم هلاكي فهذا هو مقدوري الذي لن ينفعه محذوري .

صمت العجوز مفكراً متأملاً ثم نظر إلى القاضي و قال .. أيها القاضي خذني إلى السلطان فجوابه لدي و مطلوبه عندي .

بهت القاضي ما سمع و صاح .. اتق الله يا رجل و دع عنك هذا .. أتريد أن تعجّل بهلاكك كما جاءتني العاجلة بهلاكي أنا .

رد العجوز بثقة و صرامة .. إذا أردت أن تنجو بجلدك و تغنم حياتك غداً أيها القاضي .. خذني إلى سلطانك هذا . لم يرَ القاضي بداً بعد الذي سمعه من أن يأخذ العجوز إلى السلطان .. كان ذلك تعلق الغريق بالقشة .

كان الجمع غفيراً من حاشية و وزراء و قواد و رجال دين و وجهاء قوم .. بينما وقف القاضي وبجانبه عجوز رث الثياب فقير الهيئة .. نظر السلطان بغضب و استهجان إلى العجوز ثم توجه بالقول لقاضي القضاة .. هاااه يا قاضي القضاة .. هل وجدت جواباً لما طلبناه منك ؟؟ . انحنى قاضي القضاة ثم قال .. مولاي السلطان وجدت هذا العجوز و هو لديه الجواب لما أمرتم به .

صاح السلطان بصوت كالرعد .. أتهزأ بي يا هذا ؟؟؟!!! .

ارتعدت فرائص قاضي القضاة و قال .. استمع إليه يا مولاي السلطان فلديه ما يقوله لك .

هدأ غضب السلطان و قال للعجوز .. ما خطبك أيها الرجل ؟؟ .. تكلم .

قال العجوز بصوت ثابت و قلب جريء .. أنا مستعد أيها السلطان أن أريك معنى الآية التي طلبت بعينيك شرط أن يتم تمكيني مما أريد و تكون طلباتي مجابة فيما أحتاج لأجل ذلك .. والصبر عليه .

أومأ السلطان بالإيجاب و قال .. حسناً .. لك ذلك .. هات ما عندك .

قال العجوز .. اعلم أيها السلطان أن الله سبحانه و تعالى جعل آياته و براهينه على وجوه و ضرب منها ما هو رأي العين و منها ما يتم إعمال العقل لأجله .. و منها ما هو موجود أمامنا لكن إعراضنا عنها أعمانا عنها و من هذه تلكم الآيات القرآنية الكريمة .. و حتى أشرح لك ذلك أريد منكم إحضار الأكثر جهلاً و غباءاً في المدينة إلى هنا ..كما أريد تمكيني من مكتبة القصر لأختار منها الكتب التي أريد .. كما أريد لأحد جلاديكم الكرام أن يكون تحت إمرتي .

دُهش السلطان لما سمع لكنه أعجب به و شعر أن بداخله مكنون حري أن يُستَخرج فصاح بالقوم .. من هو أغبى الأغبياء في مملكتي ؟؟ .

صاح الحضور جميعاً .. إنه بهلول الأحمق .. الذي يجوب الأسواق طولاً و عرضاً .

صاح السلطان .. علي به موجوداً .. و أنت أيها العجوز اذهب إلى مكتبة القصر و اختر ما تشاء منها من كتب و مخطوطات ريثما يأتي بهلول هذا .. أيها الحاجب ابعث معه من يرافقه إلى هناك و ييسر له أموره .

ذهب العجوز إلى مكتبة القصر و استعرض كتبها و مخطوطاتها منتقياً منها أنواع بعينها اختارها عن غيرها ثم أمر أن توضع في صندوق خشبي و عاد إلى السلطان .. كان بهلول قد تم إحضاره أمام السلطان .. نظر العجوز إلى بهلول و صاح بالحضور .. أهذا هو أغبى أغبياء المملكة ؟؟!! صاح الحضور جميعاً بصوت واحد .. نعم .. هذا هو أغبى أغبياء المملكة .

نظر العجوز إلى بهلول و سأله بهدوء .. أصحيح أنك أغبى أغبياء المملكة ؟؟!! .

أجاب بهلول بطريقة مضحكة تنم عن بلاهة .. أنا غبي .. هم يقولون أني غبي .. لا أدري .. ربما أنا غبي .. و ربما لست غبي .. أنا لا اعرف أنني غبي لكني أعتقد أنني غبي .

ضج الحضور بالضحك .. فنظر العجوز بغضب إلى بهلول الوسخ الممزق الثياب ثم صاح به قائلاً .. أيها المجرم لقد ارتكبت ذنباً فظيعاً و سوف تعاقب عليه .. أيها الجلاد عليك بهذا الأحمق .. اجلده خمسين جلدة حتى يقر بذنبه .

صاح البهلول بخوف و ذعر .. ارجوك يا سيدي ما هو ذنبي ؟؟!! إنني لم أرتكب أي ذنب ؟؟!! إنني ...

كان الجلاد قد أمسك بالبهلول و انهال عليه جلداً و ضرباً بينما كان صراخه العالي الرهيب يملأ المكان .. و ما أن انتهى الجلاد من الضرب ، حتى كان بهلول ملقى على الأرض يتأوه من الألم و يأنّ أنين تتقطع له القلوب بينما كانت الدماء تنزف منه .

كان الحضور ينظرون بخوف إلى المنظر الرهيب حينما اقترب العجوز من بهلول المسجى على الأرض و سأله .. ألم تعرف جرمك بعد يا بهلول و سبب ضربك ؟؟ أجاب بهلول بالنفي .. فقال العجوز .. إن سبب ضربك موجود في أحد الكتب الموجودة في ذلك الصندوق .. و عليك أن تعرفه و تعتذر عنه كي أكف عن ضربك .

صاح بهلول بخوف وألم مع بكاء و أنين .. لكني يا سيدي لا أجيد القراءة فكيف لي أن أعرف سبب ضربي لاعتذر عنه ؟؟!!!!! .

أجاب العجوز .. حسناً سوف يقوم أحدهم بتلاوة الكتاب الذي تختاره من الصندوق وقراءته أمامك في الوقت الذي يعلمك أحدهم القراءة و الكتابة و ستظل تُجلَد حتى تعرف سبب جرمك الموجود في أحد هذه الكتب .. و تعتذر عنه .. و الآن أرجو من السلطان الموقر أن يصرف الحضور لأن اكتشاف بهلول لذنبه و اعتذاره عنه يستغرق أياماً و ليالٍ بحالها .

مضى الأسبوع الأول و بهلول على نفس الوتيرة من الجلد و الضرب و تلاوة الكتب و قراءتها و لم يكتشف ذنبه أو يعرف سبب ضربه .. و جاء بعده الأسبوع الثاني و الثالث .. كانت تلك أسوأ أيام حياته .. كان ذلك جحيماً لا يطاق بالنسبة إليه .. لكن وبالرغم من كل ذلك فقد لاحظ أنه بدأ يتعلم القراءة و الكتابة و يطلع على أمور لم يرها و يعرفها في حياته كلها .. لاحظ أيضاً في الأسبوع الرابع أنه بدأ يقرأ بنفسه الكتب و يطلع عليها .. كما لاحظ أيضاً أن وتيرة الجَلد و الضرب و العذاب .. بدأت تُخفُّ هي الأخرى بدورها بالتزامن مع ازدياد وتيرة القراءة و الكتابة .. و هكذا .. ما أن انتهى من قراءة آخر كتاب حتى فوجئ أنه منذ مدة لم يتعرض للجلد و الضرب أو العذاب .

آخر فقرة قرأها بهلول من الكتاب الأخير .. كانت في منتصف الليل على ضوء سراج وهّاج .. وضع الكتاب من يديه و أخذ يتأمل نار السراج أمامه .. كانت القروح و الندوب و آثار السياط و الجلد باديةً على جسده .

فجأة ظهر من خلفه خيال طويل فالتفت إلى الوراء .. كان العجوز الذي نظر إليه مبتسماً و قال .. هيه يا بهلول ما قولك الآن ؟؟ هل عرفت سبب جلدك و ضربك بعد قراءتك جميع هذه الكتب و المجلدات ؟؟ .. على كل حال أنا آسف لكل ما حصل .

صمت بهلول قليلاً ثم ما لبث أن أجهش بالبكاء بحرقة و قهر ثم قال .. أي ذنب يا سيدي و أي جرم ؟؟!! أنا لا أعرف شيئاً من هذا لأنني بكل بساطة لم أعد بهلول .. أنا إنسان آخر غير بهلول .. و حتى تعرف الجواب .. عليك أن تبحث عن بهلول و تسأله هذه السؤال .. أنا لم أعد بهلول يا سيدي حتى تسألني هذا السؤال .. لكن كل ما أعرفه هو أنني كنت أعيش في نعيم الجهل و الغباء و راحة الحمق و رِعَته .. آكل مجاناً ما لذ لي و طاب من اللحم و الحلوى و الجميع يتصدق عليّ به .. كل هذا لأجل حمقي و غبائي و كوني تسلية لهم .. كنت في

عيشت راضية لكن أمي في هاويت .. أما الآن فقد عشت في عذابٍ و جحيم و شقاء و تميم لأخرج منه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

غص مجلس السلطان بعليت القوم من حاشيت و وزراء و قواد جند و رجال دين و غيرهم .. وقف العجوز و بهلول الذي ارتدى ثياباً فاخرة و وضع على رأسه طنفسة تليق به و قد استحم و شذب لحيته و أحسن في مظهره .

نظر السلطان إلى العجوز وقال .. من هذا أيها العجوز ؟؟!! .

أجاب العجوز .. إنه بهلول الذي رأيته أول مرة أيها السلطان و هو الآن بإذن الله تعالى قد أُنشِئ خلقاً آخر و أُخرِجَ منه الحي من الميت فيه .. فتبارك الله أحسن الخالقين .. و هو الآن صالح لأن يكون وزيراً أو قاضياً أو مستشاراً حكيماً مخلصاً لكم أيها السلطان .. سله أيها السلطان ما شئت .. و سلوه أيها الحضور ما شئتم فهو لكم خير مجيب .

أثارت كلمات العجوز دهشت و استغراب الجميع و ساد صمت مطبق قطعه السلطان بعد حين بأن صاح .. فليسل أحدكم أو بعضكم بهلول هذا .

بدأ قاضي القضاة بالأسئلت ثم تلاه بعض من رجال الدين ثم تلاه الوزراء .. كلهم يسألون بهلولاً و بهلول يجيب . حتى بُهِتَ كل من كان في مجلس السلطان و أُسقِطَ في أيديهم و أرجلهم و سراويلهم .

كان السلطان اكثر دهشت و عجباً بين الحضور .. و إعجاباً في الوقت نفسه .. فكر في نفسه قليلاً و قد راعه ما رأى أمامه و فوجئ به تمام الفجاءة .. نظر إلى العجوز و قد لمعت عيناه ببريق غامض و قال له .. حسناً أيها العجوز .. ها قد رأينا عياناً كيف أُخرِجَ الحي من الميت .. و الآن أرنا كيف يمكن إخراج الميت من الحي .

نظر العجوز إلى السلطان نظرة مليئة .. صامتة متأملة .. و كأنه أدرك ما جال في خاطر السلطان ثم قال له بهدوء و أسىً .. يمكنك فعل ذلك أيها السلطان بكل بساطة .. و ما أسهله من شيء عليك .. يمكنك أن تأمر بإعادة بهلول إلى ما كان عليه سابق عهده و تجبره أن يعيش كما كان يعيش في أيامه التي خلت تلك .. و بذلك تكون قد قتلت أخي فيه و أخرجت الميت من جديد .. و ما ذلك عليك بعسير أيها السلطان .

مجدداً .. لمعت عينا السلطان بوميض غامض ثم قال .. و نحن أمرنا للتو بإخراج ميت بهلول من حيّه و إعادته إلى سابق عهده لأننا نحاجة إلى البهاليل الأموات أمثاله لا الأحياء .. كما أمَرْنا أيضاً أن لا تسجل تلك الجلسة في مدونات القصر كيلا يكتبها التاريخ و يخرج لنا بهاليل أحياء فيما بعد .

فجأة .. صدرت من بهلول صرخة قوية مدوية سقط إثرها على الأرض ميتاً .

كبير العلماء و كبير الجحاش

كانت الليموزين الفخمة تسير الشوارع ملتهمة الطريق السريع التهاماً و خلفها سيارة حماية ملئت حرساً .. في مقعد الليموزين الخلفي جلس كبير الجحاش متربعاً على المقعد الوثير ذي الفرش المخملي الفخم يمجّ من سيكاره الكوبي الضخم و يمتع ناظريه بما يرى من مشاهد جانبية خاطفة ثم أمامه مر السحاب السريع .

فجأة ضغط سائق الليموزين بشدة على الفرامل فاهتزت السيارة بعنف و سُمعَ دوي زعيق فرامل توقفت السيارة بعده في مكانها .. انتفض كبير الجحاش في مقعده الوثير و قد أصابه هلع و خوف شديدين .. فسأل السائق .. ما الذي حصل ؟؟!! . أجاب السائق بخوف .. سيدي كبير الجحاش .. كدنا أن نرتطم بأحد الأشخاص الذي كان متوقفاً أمام دراجته الهوائية على جانب الطريق و لم أنتبه لوجوده إلا متأخراً .. و ها أنا سوف أنزل لأطمئن عليه .

- حسناً سوف أنزل معك بدوري لأطمئن عليه .

ترجل كبير الجحاش من الليموزين الفخمة .. كان الرجل صاحب الدراجة الهوائية قد نهض أرضاً و نفض ثيابه و اطمئن على دراجته من العطب .

أسرع كبير الجحاش إليه مهنئاً بالسلامة مطمئناً عليه معتذراً منه .. المعذرة منك يا سيدي .. إنه غباء سائقي الذي لم ينتبه لوجودك إلا متأخراً .. أعدك

أنني سأحاسبك حساباً عسيراً .. و أنا جاهز لأي تعويض .. المهم أن تكون خير و ألا يكون قد لحق بك مكروه ؟؟ .

ابتسم الرجل بأدب و قال .. كلا يا سيدي لم يلحق بي أي أذى أشكرك على اهتمامك .. و لا داعي للتعويض فلم يحصل ما يستوجب ذلك .. أشكرك مجدداً على اهتمامك .

- أعرفك على نفسي .. أنا كبير الجحاش .

- أهلاً سيدي .. أنا كبير العلماء .

- واااووو .. أأنت كبير العلماء إذن و أنا أبحث عنك منذ زمن لأتعرف عليك .. أأنت غريمي إذن (قال ممازحاً) .. يا لها من صدفة جميلة .. أتعلم ؟؟ أنني كلّني شوق لأتعرف إليك وألتقي بك .. و لكن أخبرني ما الذي تفعله هنا في هذه الغابة خارج المدينة .

- إنني هنا في تجربة علمية أقوم ببعض التجارب و الأبحاث على بعض النباتات و الحيوانات و الطيور في البحيرة المجاورة .

هز كبير الجحاش رأسه أعجاباً و مط شفتيه و قال .. أنا مثلك أيضاً كنت في رحلة عمل .. رحلة استجمام و صيد للأرانب و البطّ و الحمام في البحيرة المجاورة .. بالمناسبة لماذا يسمونك كبير العلماء ؟؟!! .

- هذا لقب لقبني به معظم العلماء و الجامعات و مراكز الأبحاث و الدراسات نتيجة للأبحاث و الدراسات و الاختراعات و المنجزات التي قدّمتُها في سبيل خير البشرية و تقدمها و ازدهارها و قد أمضيت حياتي كلها في هذا المضمار .. بالمناسبة ؟؟ أنت أيضاً .. أخبرني .. لما سموك بكبير الجحاش ؟؟؟!!! .

وضع كبير الجحاش سيجاره الكوبي الضخم في فمه و مجَّ منه مجَّة عميقة نفث دخانها في الهواء و قال ضاحكاً .. سُمّيتُ كذلك لأنني بكل بساطة كبير الجحاش حقاً .. لا أفقه شيء .. لا أعرف شيء .. عالة على المجتمع و المجتمعات و مصيبة عليهما في الوقت نفسه .. أكره العلم و العلماء .. و الفكر و الثقافة و أشخاصهما و شخوصهما و إشخاصهما و تشخيصهما جميعاً .

هز كبير العلماء رأسه بإعجاب و قال .. ما شاء الله .. ما شاء الله .. هذه بلاغة فكرية خطابية قلّ نظيرها .

أشار كبير الجحاش بيده التي فيها السيجار الكوبي الضخم .. لماذا أنا في وضع مادي جيد و أنت في فقر وضنك كما يبدو عليك من هيئتك ؟؟!! .

- اسأل من وضعك في هذا المكان و وضعني أنا في هذا المكان .. علّك تجد الإجابة عنده .. أو ربما علّه يجيبك .

- و من هو هذا الذي فعل هذا بكلينا كما تقول يا كبير العلماء ؟؟؟!!! .

- إذا كنت لا تعرف .. ابحث عنه فقد تفلح في إيجاده .

- لماذا أنت حسود لهذه الدرجة ؟؟!! ألا تعلم أن الله هو من وضع كلانا في موضعه الذي يستحق ؟؟ .

- سبحان الله .. سبحان الله عما تقولون و تصفون و تفعلون و تعالى علواً كبيراً عما تفترون . يا كبير الجحاش .. أنا كبير العلماء أعلم تماماً من وضعك في موضعك هذا الذي هو بدوره يعلم تماماً موضعي من موضعك هذا الذي وضعك فيه ، و يعلم تماماً مكاني فيه .. أما أنت يا كبير الجحاش .. فواضحٌ تماماً أنك لا تعلم من وضعك في موضعك هذا .. هو الذي يعلم تماماً موضعي منه و فيه .

قهقه كبير الجحاش ساخراً و قال .. و ماذا استفدت من علمك هذا ؟؟!! و ما خدمك و قدم لك ؟؟!! و لماذا لم تستخدمه في تغيير موضعك المادي ؟؟!! .

- استفدت كمّاً كثيراً .. و علمي قدم لي خدمات جمّة جلّى لا تعد و لا تحصى .. علمي أكسبني احترام الناس الحقيقي لي و محبتهم الصافية الصادقة المخلصة . دونما رياء أو مجاملة أو نفاق .. علمي قدم لي مكانة رفيعة بين أولئك الذين يعلمون و يفقهون .. أما أولئك الذين لا يفقهون فلا ألومهم على جهلهم الذي فيه يعمهون .. و علمي ليس له ذنب في ما أنا فيه من موضع مادي حتى أستخدمه في تغيير موضعي الذي أنت ذكرتَ .

- عجيب ؟؟!!! جهلي قد جعلني في أرفع المواضع المادية و المكانة الاجتماعية .. و علمك لم يستطع أن يفعل لك شيئاً !!! أليست هذه مفارقة غريبة و طريفة في آن معاً .

- العجيب مما تعجب أنت منه بموضعك هذا الذي يجعلك تراه عجيب .. أما موضعي فلا يجعلني أراه بعجيب لأن لي فيه علم مجيب .. العليم الذي وضعك بموضع جهلك هذا .. هو الذي وضعني بموضع علمي .

- حسناً .. ما رأيك يا كبير العلماء أن تكون جاهلاً لساعة واحدة و لك مئة ألف دولار ؟؟؟ هاااه ما قولك ؟؟؟ .

- آسف .. أخاف أن يذهب مالي و يبقى جهلي .

- كيف لي أن أعرف أنك كبير العلماء ؟؟!! ما أدراني بذلك ؟؟!! .

- هذا هو الفرق بيني و بينك .. أنت لن تعرفني و لم و لن تكون ربما مثلي . لكن أنا أعرفك لأنني كنت يوماً من الأيام مثلك .

- هل هناك من هو أكبر منك يا كبير العلماء ؟؟!! .

- نعم .. إنه العليم الذي وضعك في مكانك هذا حيث يعرف موضع كل منا .

- يبدو أننا أنا و أنت يا كبير العلماء لن نتفق .

- هذا ما يبدو لي يا كبير الجحاش أيضاً .

- أسعدتني رؤيتك .. فقد أصبحت الآن أكثر ثقة بنفسي .

- أسعدتني رؤيتك فقد اصبحت الان أكثر اطمئناناً بما أنا عليه الآن .

- إلى اللقاء .

- بل وداعاً .

بالصرف الصحّي

لم يدع شراً إلا و فعله .. لم يدع فعل سوء إلا و قام به .. لم يترك خِلّاً منقصاً إلا و اقتحمه اقتحاماً .. تربي منذ صغره تربية السوء .. و لُقم مذ شلفه على الطوق طرائق سوء الخُلق و اعتياد الشر .. اعتاد نشأة الأزقة و ارتياد قوارع الشوارع و افتراشها تلازماً بصحبة السوء .

و شيئاً فشيئاً نمت معه عادات السوء و خصال الشر تلك .. كبر و كبرت معه .. استطال و استطالت معه .. كون ثروة لا بأس بها من سوء أفعاله و خِبثِ صفاته .. تزوج و أنجب بنات و بنين .. لكنه أراد في لحظة مفصلية من حياته و كبر سنه .. أن يبعد بناته وبنيه عن تاريخه و ماضيه الأسودين المزريين .. و بالخاص الأخص عندما بدأ أولاده يكبرون و شارفوا على دخول الجامعات و أصبح لديهم أصحاب و صاحبات .. لذلك .. بناء عليه و عليه بناء .. كان لابد له من غسل يديه القذرتين من ماضيه ذاكا .. و ما اضطره إلى ذلك اضطراراً .. هو ظهوره دائماً بمظهر الأب المثالي أمام أولاده .. فلم يُرِدْ لهم أن يُفاجَأوا بحقيقة أصله و فصله و معدنه .. ما يُحدِث لديهم صدمة نفسية مؤثرة .

على أن ما فاجأه تمام المفاجأة .. هو عدم مقدرته تغيير نفسه بشكل مغاير تماماً .. بهذه السهولة .. فهذا أمر قد جرى فيه مجرى الدم في العروق .. و سرى فيه مسرى الحياة في الجسد .. ذلك ما أدى به إلى الوقوع فريسة الألم النفسي و

الإجهاد .. نتيجة التناقض الأخلاقي الذي بدأ يعيشه و يحاول الإفلات منه و لا يجد له فكاكاً .

عندما اشتدت وطأة ذلك عليه و بدأ يعيش حالة من الانفصام الذاتي مع هيمنة بعض الكوابيس الليلية عليه .. نصحته زوجته العارفة بأمره المدركة لأحواله .. نصحته بالتوجه إلى طبيب نفساني علّه يجد عنده نصحاً و يهيئ له من أمره رشداً .. فتقبّل الأمر طائعاً مختاراً .

في العيادة النفسية .. جلس وجهاً لوجه مقابل الطبيب .. شرح له وضعه و ما يعانيه من أوجاع و آلام مخاض ما يسمى صحوة الضمير أو محاولة التغيير في سلوكه و آدابه و أخلاقه و استعصاء ذلك عليه .. أسهب و استفاض في شرح سيرته الذاتية للطبيب المعالج كي يتسنى له وضع المبضع على الجرح .

بعد جلسات عدة .. لم يتوصل الطبيب النفسي المعالج إلى تحديد المشكلة بدقة تفصيلية .. لكنه استطاع تشخيص السبب الأساس ، فقال للرجل .. اسمع يا سيدي .. لقد توصلت بعد تدقيق و تمحيص دقيقين و بعد استماع مطوّل لما شرحته أنت لي .. توصلت إلى أن السبب الأساس يكمن في طفولتك .. و تحديداً في السنوات الأولى من حياتك .. و لذلك .. و بناء عليه و عليه بناء .. يتوجب عليك يا سيدي أن تحاول تذكّر حدث أو حادثة معينة حصلت معك في تلك الفترة .. و إن كنت لم تستطع ذلك بسبب صغر سنك .. فحاول تذكر إن كان أحد ما قد أخبرك بشيء ما تعرضت أنت له .. حينذاك .. يمكنني فقط تحديد المشكلة بالضبط و حصر السبب بشيء محدد .

أمضى الرجل الأيام التالية .. يفكر في ما قاله الطبيب و يحاول استنباط حدث معين من ذكرى ما .. لكنه لم يفلح في مسعاه و لم يجد لذلك سبيلاً .. حاول و

حاول .. ثم حاول و قُتِلَ كيف حاولَ .. لكنه لم يتحصّل نهاية الأمر إلا على خيالات غامضة مبهمة و أشكال ضبابية غير واضحة المعالم .

شكّل هذا الأمر قلقاً كبيرة بالنسبة له و توتراً نفسياً زاده توتر إلى توتر و تعب إلى تعب و إجهاد إلى إجهاد .. شَعَرَ أن ذلك كان أشد عليه من بداية الأزمة و أنه لو لم يذهب إلى الطبيب النفسي لكان أفضل له و إن كل ما جناه هو زيادة التعب و التفكر الذي لا طائل منه .. لكنه و بالرغم من ذلك كله .. كان يتحرّق لمعرفة ذلك السبب إذ شعر في قرارة نفسه أنه فعلاً يوجد هنالك سبب وجيه لما حصل و يحصل معه .. سبب منطقي مقنع يبرر له سبب سوء خُلقه و دناءة سلوكه و خُبث فعاله . فأضحى في شوق و حرقة كبيرين لمعرفة ذلك .

ذات يوم و بينما كان مستلقياً في فراشه يتأمل السقف فوقه بشرود .. إذ به يقفز فجأة من الفراش و يقول في نفسه .. وجدتها .. نعم وجدتها .. نعم إنها هي .. الآن عرفت السبب .

عجلانٌ .. نهض من فراشه .. و مسرعاً ارتدى ثيابه و انطلق باتجاه العيادة النفسية .

لاهثاً .. جلس مقابل الطبيب .. التقط أنفاسه قليلاً ثم قال .. أعتقد يا دكتور أنني قد عرفت السبب .. لا أدري ما إذا كان هو السبب .. لكنني أظن أنه ربما يكون له علاقة بذلك أو على الأقل يمكن أن يفِدكَ بشيء إذا لم يكن هو السبب .

أصاخ الطبيب السمع بانتباه قائلاً .. كُلّي أذن صاغية .. هات ما عندك أيها الفتى الهُمام .

تنحنح الرجل في جلسته مضطرباً بعض الشيء .. متردداً قليلاً .. ثم قال بخجل .. اظن أنني .. تذكرت .. أن والدتي قد أخبرتني ذات يوم .. أنها .... عندما ... ولدتني في العراء ... بحثت عما تغتسل به و تغسلني أنا أيضاً من آثار الدماء .. فوجدت على مقربة منها حفرة فيها ماء .. فقامت بسرعة خاطفة بغسلي بها و غمري فيها و إخراجي منها حتى زالت آثار الدماء مني .. ثم لفتني بخرقة كانت معها و عادت بي إلى المنزل .. لكنها اكتشفت بعد فترة وجيزة أن هذه الحفرة ما كانت سوى حفرة للصرف الصحي و أن ما عمدتني و غسلتني به كان ماء المجارير .

جُراب المبادئ

جمعتهما الصدفة بعد طول غياب .. كان قد صار لهما مدة طويلة جداً لم يلتقيا .. ربما منذ أيام الدراسة لم يفعلا ذلك .. كان الزمن و آثاره بادٍ على محيا كل منهما .. تعانقا مطولاً عناقاً طويلاً حاراً .. أحدهما ميسورا أكال براغماتي العقل و التفكير .. مرن التصرف و الأداء .. متساهل التعامل و المعاملة .. لا يرى حرجاً في المنفعة المتبادلة .. و يؤمن أشد الإيمان بالأمر الواقع و لروميته في الحياة .. و يعتقد كل الاعتقاد أنه لا بد من التساهل في أمور كثيرة و التنازل عن أُخَرٍ أكثر لكي تُيَسّر أمور الشخص .. و لذلك فقد وجد هذا الشخص سبيلاً إلى المال و الغنى و نصيب من جاه و دنيا .. و شبَعٌ من زينتها و مظاهرها .

الثاني كان متزمتاً متشدداً في أمور الأخلاق و القضايا الأخلاقية .. عصامي المبدأ .. صلب المبادئ قوي الشكيمة المبدئية .. لا يجامل و لا يتزلف لأجل مال ينالـه أو منصب يصيبه أو عرض من دنيا يدركه .. لا تأخذه في الحق لومة لائم .. تحسبه غني من التعفف و هو ليس كذلك .. فطالما قضى العمر يستدين أو يعمل عملاً آخر غير وظيفته الحكومية ليوفي ديون آخر الشهر أو يعدل من ميزانية مصروف المنزل .. لا يقبل الهدية و لا العطية .. و لا المساعدة و لا الرشية .

بعد العناق و طول السلام و الكلام .. قال البراغماتي الأول للمبدئي الثاني.. ما رأيك يا صديقي العزيز القديم .. أن أدعوك إلى تناول الغداء في مطعم فخم جداً بمناسبة لقائنا المتجدد هذا ؟؟ .

المبدئي .. آسف يا صديقي .. آسف جداً .. أظن أنك تعرفني جيداً .. أنا صاحب مبادئ و لا أدخل هكذا أماكن مخصصة للأغنياء .. انا أقبل بفنجان قهوة أو كأس شاي في مقهى شعبي متواضع .. شرط أن أدعوك أنا إليه و يكون على نفقتي و حسابي .. هذه هي عقيدتي و معتقدي .. و غير ذلك .. ما عندي كلام و لا مقال يقال .

البراغماتي .. و ما يا صديقي العزيز ؟؟!! هي دعوة أخوية صادقة لا تشوبها أدنى شائبة و لا يتلبسها مجرد لُبَسٌ .. فهلمَّ .. هلمَّ يا صاحب الدرس و رفيق الطفولة و الصبا .. إلى ذاك المطعم الارستقراطي النبيل نتناول ما لذ و طاب من طعام و فاكهة تسر الناظرين و تسيل لعاب الذائقين .. و نسترجع أياماً قد خلت .. و ذكريات قد مضت .

المبدئي صائحاً .. و كيف ذاك يا صاحبي ؟؟!! يا أخا الدراسة و رفيق أزقة الحي .. كيف أدوس عتبة مطعم أرستقراطي فخم علا أصحابه و مريدوه فوق أجّمة الفقراء و الكادحين من عمال و فلاحين و صغار كسبة و حرفيين ؟؟!! إن هذا لهو العجب العجاب !!! .. فما أصنع بمبادئي ؟؟!! و أين أذهب بها ؟؟!! إنني إذا لمن الجاهلين .. فَدَعْ عنك هذا الأمر و ابحث في غيره أو اقبل دعوتي إلى مقهى شعبي قريب يقدم الشاي لهؤلاء الأباطح من القوم .

البراغماتي .. هذا أمر شائك عويص .. و ليس عنه من محيص .. إلا بحل مقنعٍ مليح .. قلت لي أن المبادئ هي المشكلة في ذلك ؟؟!! .

المبدئي .. أي نعم يا رفيقاه .. واااا صديقاه .. هي كذلك بعينها و لبّها .. أخط الأثم المحظور الذي لا يمكن تجاوزه بحال من الأحوال .. و هو الفيصل الأساس الذي ليس فيه مساس .

البراغماتي .. حسناً .. دعنا نتمشى قليلاً حتى نصل إلى المطعم الأرستقراطي الفخم .. و هناك ربما أجد حلاً لمبادئك تلك فتدخل معي لنصيب غداؤنا .. أو لا أجد حلاً لمعضلتك تلك فأيمم وجهي شطر مقهاك الشعبي هذا .. ذا الكدح و النضال و نتجرع سويةً كأس من الشاي مترعة بمبادئ العوام و كفاح السواد .. فما رأيك دام فضلك ؟؟؟ .

أومأ المبدئي برأسه و مط شفتيه و قال .. حسناً .. و لو أنني لا أعتقد أن يكون لك حظاً في ذلك .

سار الاثنان يتسامران و يتحادثان .. و البراغماتي يفكر كيف يجعل صديقه المبدئي الكادح كدحاً .. يدخل المطعم الارستقراطي و يأكل من طعام أهل الارستقراط و البيروقراط و ما شابههم من لواحق ذوات القراط .

نهايات المطاف وصل الاثنان إلى المطعم المذكور .. حيث مظاهر الأبهة و أجاه و الفخامة و الطعام الفاخر الفخم من طيور حبشية و أوز محشية و ماعز بريةٍ مشوية و أسماك مقلية بجانبها فواكه صيفية و شتوية مع حلوى فاخرة فستقية .. و روائح ذلك كله تفوح عطرة زكية .. تنعش النفوس و تجعلها بهية جلية .

نظر البراغماتي إلى المبدئي و قال .. هاااه أيها الصديق المبدئي العتيد العنيد .. هل ما زلت مصراً على موقفك المبدئي هذا و متمسكاً بمبادئك تلك ؟؟!! .

نظر المبدئي نظرة إلى واجهة المطعم الزجاجية و ما تحتويه من أصناف و عروض مختلفة من الأطعمة و المقبلات و الحلويات و المشروبات التي فاحت رائحتها في المكان .. و أثار عبقها سيلاً من اللعاب .. ابتلع ريقه و قد سال لعابه لمشهد لم ير له في التاريخ مثيلاً .. لكنه و مع ذلك تمالك أعصابه و استعصم برباطة جأشه و قال بإباء مشهود قلَّ نظيره .. لا .. لن أفعل .. إنني لن أضيع مبادئي بشهوة بطني .. و لن أزيح عنها قيد أنملة .

ابتسم البراغماتي و قال .. حسناً حسناً .. طالما أن القضية هي قضية مبادئ لا يمكن تجاوزها و لا الزحزحة عنها قيد أنملة .. فعندي حل لمبادئك العتيدة الصلبة تلك .

- ما هو هذا الحل ؟؟؟!!! (سأل المبدئي بدهشة و استغراب) .

أخرج البراغماتي من كمه جراباً ثمري اللون .. مخملي الملمس .. فاخر المنظر و قال .. حسناً يا صديقي .. أطلب منك إذن أن تضع مبادئك هنا في هذا الكيس اللماع اللماع و تتركه هنا عند الباب و تدخل المطعم معي .. علّنا نصيب شيئاً من متاع الدنيا الفانية الزائلة .. و عندما تخرج من المطعم تأخذ مبادئك تلك و تصطحبها معك حيث تشاء .. و بذلك تكون قد حللت مشكلة الإحراج و جنّبتَ مبادئك الغالية .. المَهانة و الامتهان .. فما قولك طِيلَ عمرك ؟؟؟ .

فكر المبدئي مطولاً و حك رأسه مراراً ثم قال بتردد .. لا أعرف بالضبط ... و لكن ... أنا ... لست ... .

البراغماتي (مقاطعاً) .. هيا يا رجل .. لقد حللنا مشكلة المبادئ تلك .. و على كل حال أنت جرب ذلك و لن تخسر شيئاً .. فإذا رأيت أن هذا شيء غير مؤاتيك نفسياً .. و لا يؤتيك ثمره أخلاقياً و مبدئياً .. فأنت في حلّ من ذلك و لا تعوده كرّة أخرى .. هيا جرب و لن تخسر شيئاً .

تردد المبدئي بعض الشيء ثم ما لبث أن هز رأسه موافقاً و دلف إلى الداخل بعد أن فعلت الروائح الفائحة و الأنخرة المتصاعدة فعلها في خياشيمه .

كان الطعام و الشراب من ألذ و أطيب مما هو في الخيال ، و قد حرص البراغماتي على أن يكون الطعام من أفضل ما يقدمه المطعم .. أكل الصديقان حتى الشبع و شربا حتى الثمالة .. و عندما هما بالخروج .. التقط البراغماتي جراب المبادئ المخملي و أعطاه لصاحبه المبدئي قائلاً .. تفضل هذا كيس المبادئ خاصتك .. و ها قد عادت إليك مبادئك و لم تُخسَرْ منها وزناً و لا كماً .. إن حديثنا لم ينته اليوم .. فما رأيك أن نكمل الحديث غداً بموعدنا هذا في مطعمنا و تجلب معك كيس المبادئ كيلا تجد في نفسك حرجاً مما قيدتَ نفسك فيه ؟؟ .

فكر المبدئي قليلاً .. ثم حك رأسه وقال .. حسناً .. ربما يمكنني ذلك .

في اليوم التالي تلاقى الصديقان على قارعة بوابة المطعم الارستقراطي الفخم .. و عندما دخلا الباب وضع المبدئي كيس مبادئه عند موظف أمانات المطعم و دخل مع صديقه يتغديان مما لذ و طاب .. و عزَّ و استطاب .. يتسامران في الصحبة و الأحوال .. و ما حصل من قبلْ و صارْ . و لما افترقا .. تعاهدا على اللقيا في اليوم الذي يليه بعد أن استعاد المبدئي جراب المخملي ذا المبادئ و القيم .

كذا الأمر في اليوم الثالث حصل ما حصل في اليومين الذين سبقاه .. أودع المبدئي جرابه المخملي عند الدخول و استعاده عند الخروج بعد أن استبطن و شبع .

تكرر هذا في ما تلا من أيام .. أكل و شراب و طعام و مُدَامْ .. يضع فيهما المبدئي جراب المبادئ المخملي عند الدخول .. و يتسلمه حرص عند الخروج .

في نهاية الأسبوع .. خرج الصديقان من المطعم بعد أن أكلا و شربا و شبعا .. نظر الصديق البراغماتي إلى صديقه المبدئي و قال له .. الوداع يا صديقي .. أنا

ذاهب في سفرة قد تطول .. ربما نلتقي بعدها عندما أعود .. تفضل هذا كيس مبادئك .. احتفظ به فربما إذا التقينا من بعد رجوع و ميعاد .. نأتي إلى هنا مرة أخرى و نتسامر في الشؤون و الشجون .. حيث تضطر لإيداعه عند الدخول و استعادته عند الخروج .

أمسك المبدئي جراب المبادئ المخملي .. نظر إليه و تأمله .. ثم نظر إليه و تأمله .. هز براسه .. قهقه بهدوء .. ثم قهقه بصوت عالٍ .. و فجأة و بكل ما أوتي من قوة رفع يده و طوّحَ به في الهواء بعيداً .. بعيداً نحو كومة قمامة .. صائحاً بزهو و شعور بحرية و خلاص .. اللعنة على المبادئ و الأخلاق و القيم .. اللعنة عليهم أجمعين .. اليوم نحن واقع و عقل وموضوعية .. و غداً أمم واقع و عقل وموضوعية جديدة .

نزار يوسف ..

كاتب من سورية .. له المؤلفات التالية ..

- الزمن العربي الرديء (دراسة و بحث) .

- الحكمة بين الإله والسلطان (دراسة و بحث) .

- الوصاية الفكرية (دراسة و بحث) .

- المنطق الثاني (دراسة و بحث) .

- هوية الفكر العربي المعاصر (دراسة و بحث) .

- من وحي الواقع (مجموعة مقالات) .

- أنا و الملاك (رواية طويلة) .

- المسيح المهموم (مجموعة قصصية) .

- من رؤياي في الحياة (مجموعة خواطر) .